محمد المجذوب

دروس من الوحي

محاورات إذاعية في ضوء الكتاب والسنة

الطبعة الخامسة

دار الشواف

محمّد المجذوب



محاورات إذاعية في ضوء الكتاب والسنة النبوية

دار النفائس

الطبعة الثانية

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

دار النفائس ت ٢٥٨٧٣٨ - ص.ب ٦٣٤٧ - بيروت

هذه الطبعة الثانية

كان من حق هـذا الكتاب أن يعود إلى الراغبين في طبعته الثانية قبل ثلاث سنوات على الأقل لو اخذت الأمور سبيلها الطبيعية، ولكن أمام المؤلفين – بالعربية ولا سيما في نطاق الفكر الاسلامي – عقبات لا يعرفها إلا الذين يواجهونهـا ويعانونها. وقد ذلل الله، وله الحمد، هذه العقبات أخيراً فتمكنا من إعادة طبعه، وكانت هـذه فرصة طيبة لتنقيته من بعض الهفوات المطبعية.

وما نرانا في حاجة إلى مزيد من الكلام عن مضمون الكتاب ففي مقدمته الأولى ما يكفي ويشفي.

والحمد لله أولاً وآخراً وعـلى نبيّه الكريم أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

م م

هـذه الخواطر

لقد أدَّبْتُ نفسي بمطالعة كتاب الله في كل يوم ، واخذتها بتتبع الكلام النبويّ كلما وجدت الى ذلك سبيلاً .. وحاولت أن أعيش تلك الفرص بأقوى مـا يمكنني من الوعي والتفتح ، فكان لي من ذلك جلوات روحية تنقدح في قلبي بين الحين والحين، فتطل بي على آفاق من السعادة والغبطة والجمال لا سبيل الى استيفاء وصفها ، ولا سبيل الى تناسيها ، لأن ذكرياتها لا تزايل خيالي ولا مشاعري ..

وكنت قد بدأتُ اسجلُ بعض هذه الانطباعات على هامش مصحفي ، وعلى جوانب بعض كتب السنة ، ولكنه تسجيل متقطع لا أستطيع التفرغ له كلما توفرت دواعيه ، حتى أسعدني الله بقربِ الحرمين، وقدّرَ الاتصال بإذاعة « صوت الاسلام »، وجاءني اقتراحها بكتابة أحد البرامج فيها ، فرأيتها فرصةً لدراسة القصص القرآني ، فافتتحت برنامج «قصة وعبرة» [1]..

(١) ستخرج هذه الحلقات في كتاب آخر ان شاء الله .

ومضيت في تقديم حلقاته ، حتى استُوفِيَت المرحـــلة المعتادة للاذاعة ، فاقترحت عليّ برنامجاً آخر يقوم على الحوار ، ويذاعُ تحت عنوان جديد . وهكذا قُدّر لهـذه الخواطر ان تتابع في حلقات لا تربط بينها وحدة متصلة ، لأنهـا لم تؤلف في الأصل لتخرج في كتـاب ، وانما يجمعها إطار واحد هو كونها جميعاً — كما أسلفت — قبساتٍ من نفحات الوَحي في منبعيه القدسيين.

وكان طبيعياً — بعـــد ان تكاثرت الحلقات — أن أفكر بجمعها في مؤلف مستقل ، وها أنذا أضع بـــين يدي القارىء مجموعة الحلقات السبع والثلاثين التي استغرقها البرنامج .

وكل ما أتمناه هو ان يجعلها الله من الأعمال المقبولة لديــه يوم توفى كلُّ نفس ما كسبت .

والحمــدُ لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمدٍ سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

غرة رجب عام ١٣٨٧
عن المدينة المنورة

محمد المجذوب
المدرس في الجامعة الاسلامية

التوحيد الخالص

صوت المقرىء : (أفمن يتقي بوجهِ سوء العذاب يوم القيامة ..
وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون. كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون . فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذابُ الآخرة اكبرُ لو كانوا يعلمون . ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلِ مثلٍ لعلهم يتذكرون. قرآناً عَرَبِياً غير ذي عِوَجٍ لعلهم يتقون . ضربَ الله مثلاً رجلاً فيه شركاءُ متشاكسون ، ورجلاً سَلماً لرجلٍ .. هل يستويان مثلاً !! الحمدُ لله ، بل اكثرهم لا يعلمون .)

الشيخ وتلميذه : صدق الله العظيم .

الشيخ : ربنا آمنا بما انزلت .. فاجعلنا سَلَماً لك،لا شركَ فينا لغيرك يا رب العالمين .

التلميذ : آمين ..

الشيخ : هل فكرت يا بني في مضمون الآية الأخيرة ؟

التلميذ : قدر الامكان ...

الشيخ : في هذه الكلمات القليلة ما يُغني عن المجلدات الكبيرة ، في شرح التوحيد ومردوده في نفس المؤمن ، والشرك ومشاكله في حياة سواه ..

التلميذ : لمحت من ذلك ما يتسع له عقل تلميذ مثلي ..

الشيخ : تريد ان تقول انك ألممت من الآية بالصورة الكلية فقط؟

التلميذ : هو كذلك.. فالإطار العام الذي يُحيط بالآيات منصبّ على تفنيد عبادة المشركين ، وعلى دعوتهم الى التوحيد الخالص ، الذي لا يقبل الله سواه .

الشيخ : يعجبني وصفك لهـذا التوحيد بكلمة (الخالص) .. فهي دليل على ادراكك ان من التوحيد ما ليس بخالص.

التلميذ : هذا بعض فضلك في تبصيري بهذه الحقائق .. أيها الشيخ الجليل .

الشيخ : بل فضل الله علينا جميعاً .

التلميذ : ولقد نبهتني بملاحظتك الى أسرار في الآية أراني في أمس الحاجة الى فهمها .. فهل لأستاذي الجليل أن يتحفني ببعض نفحاته في هذا الصدد ؟

الشيخ : إن تعطشك للجديد من المعرفة يحفزني للبحث عن كل ما أراه نافعاً لي ولك .

التلميذ : زادك الله من فضله فزدني ايضاحاً .

الشيخ : هل رأيت في الآية أنموذجين للبشر ؟

التلميذ : رأيتهما .. فأحدهما رجل فيه شركاء متشاكسون ، والآخر رجل سلمٌ لرجل ..

الشيخ : وعي رشيد .. فهل تصورت أمر هؤلاء الشركاء المتشاكسين ، وأثر تشاكسهم في وضع هذا المسكين !.

التلميذ : هذا الذي رجوت ايضاحه .

الشيخ : فلنذكر اذن ان الله يمثل بهذين الانموذجين للمشرك والمؤمن .. وها هنا صورة المشرك ، وهو عبدٌ مملوكٌ ، اشترك في رقبته عدة أفراد ..

التلميذ : يا لشقاء المسكين !

الشيخ : فكيف اذا علمت ان هؤلاء المالكين له متخاصمون ، كلٌّ يُريدُ منه خِلافَ ما يُريدُه الآخر ، يأمره هذا بالذهاب لشأنٍ ، فيأمرُه هذا بالعودة لشأنٍ مضاد ، فيأتي الثالث ليكلفه ضد المطلبين !!

التلميذ : وقد يكون فيه مالكٌ رابعٌ وخامس .. وكلهم ذو حقٍ في رقبته ..

الشيخ : وكلهم ذو حق في طاعته ، وذو قسوة في معاملته ، لا يُعفيه من عقوبة على أية معصية !..

التلميذ : جحيمٌ لا يطاق !.

الشيخ : هذا الجحيم يا بنيَّ هو الذي يعانيه المشرك .. اذ يجد نفسه موزع القوى بين عدد من الاتجاهات التي يستحيل عليه التوفيق بينها ..

التلميذ : ولكن ..

الشيخ : ماذا !؟ هل من غموض في حديثي ؟

التلميذ : قليل ..

الشيخ : أفصح ..

التلميذ : هذا الوثنيُّ الذي يتجهُ بعبادتهِ الى الحجارة مثلاً .. أيُّ توزع يعانيه، ما دام واثقاً من انه يتخذها رمزاً لِلهِ فيما يزعم ؟

الشيخ : حسن .. ولكن الوثنية نفسها ذاتُ ذيولٍ خبيثة.. ألا ترى أن للوثنيات فلسفتها وكهنتها!.. ولهؤلاء أوامرهم ونواهيهم !!

التلميذ : حقاً فالشركاء الفعليون في نفوس الوثنيين انما هم هؤلاء الطواغيت المتسلطون ، لا الحجـــارةُ ولا أشباهُ الحجارة !..

الشيخ : والى هذا يشيرُ القرآنُ العظيم في قولهِ الحكيم :(وكذلك زَيَّنَ لكثير من المشركين قتل ابنائهم شركاؤهم .)

التلميذ : صدق الله ..

الشيخ : ثم هل نسيت أنَ للشرك ألواناً وضروباً !..

التلميذ : اذكر انك حدثتني عن بعضها فيما مضى ..

الشيخ : ولعلك لا تنسى تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول الله في أهل الكتاب : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ..) وقد سأله عديُّ بنُ حاتم قائلاً :

يا رسول الله انهم لم يعبدوهم . فقال ﷺ : بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم .)

التلميذ : بلى . اذكرُ جيداً ، وهذا يَعني أن متابعة الكهنة وأشباههم على غير دليل من وحي الله وسنة نبيّه ضرب من الشرك الصراح !..

الشيخ : لا خلاف على هذا .. وكذلك من الشرك اتباعك أهواء نفسك ، مع يقينك انها مخالفة لشريعة الله .

التلميذ : حقاً لأن الله يقول : (أفمن اتخذ إلهَـهُ هواه أفأنت تكون عليه وكيلا .!)

الشيخ : ومثل ذلك يا بنيّ ما قد تراه من رضا الغوغاء وأشباههم بما يشرع لهم الطواغيتُ من أحكام معارضة لما شرع الله ...

التلميذ : حقاً حقاً ... ولكن بقيَ أن أتبين وجه الشبه بين هؤلاء وبين ذلك المملوك الذي فيه شركاء متشاكسون .

الشيخ : اعلم يا بني أن سعادة البشر أفراداً وجماعات لا سبيل لتحقيقها إلا عن طريق الارتباط بتعاليم الوحي .. فالله الذي خلق الانسان هو أعلم بما ينفعه وما يضره .

التلميذ : لا شك .. ألا يعلم من خلق !.. وهو اللطيف الخبير .

الشيخ : فالله حين يُعيّنُ للانسان معالم العقيدة انما يُريد ضبط سلوكه في طريق النور ، فكل انحراف عنه بزيادة أو

نقصان مدعاة للدخول في الظلام .

التلميذ : حتماً ...

الشيخ : والله حين يعين للانسان كذلك أنظمة الحكم والتعامل انما يريد بهذا اقامة بنيانه الاجتماعي على أُسُس العدالة المطلقة ، التي هي وحدها سبيلُ السلام .

التلميذ : ولهذا يقول ربنا جلّت حكمتُه : (أفحكم الجاهلية يبغون!.. ومن احسنُ من الله حكماً لقومٍ يُوقنون!.)

الشيخ : ولكن هذا كله لا يمكن ان يوفر للانسان عناصر الاطمئنان والسلام لو لم يكن منسجماً مع صميم فطرته التي طبعه الله عليها ..!

التلميذ : العقلُ لا يقبل غير ذلك ؟!

الشيخ : وهذا يعني ان كل انحراف بمسلك الانسان عن هذه النظم الإلهية مُؤَدٍ بهِ الى الارتكاس في هاوية الشقاء...

التلميذ : طبعاً ...

الشيخ : وهكذا ترى ان تشبث الإنسان بغير حبل الله ، والإستعانة بسواه ، وتوجيه أيّ لونٍ من العبادة أو الطاعة لغيره وبغَيْر إذنه ... كل أولئك من شأنه أن يمزق طاقات هذا المخلوق ليصرّفها في الاتجاهات المتضاربة ...

التلميذ : الآن اتضح لي ما كان خافياً .. حقاً لا شبيه للمشرك إلا ذلك المملوك لشركاء متشاكسين .

الشيخ : وهل في الخلق من هو أشد شقاء من هذا المسكين !!
التلميذ : أبداً .. أبداً . بقي أن تحدثني عن النموذج الآخر ..
الرجل الذي هو سَلَمٌ لرجل ..
الشيخ : لقد فعلت !.
التلميذ : ومتى !؟.
الشيخ : حين عرضت لك صفة هــذا الشقي الخاضع للارادات المتضادّة .. فليس عليك إلا أن تتصور الطرف المقابل له لتعرفه !.
التلميذ : تعني الانسان الذي وضع أزمتــه في يد مالك واحد.
الشيخ . أجل مالك واحد يا بني ، ولكنه عادل حكيم لا يكلفه ما لا يطيق ، ولم يجعل عليه في الدين من حرج ...
التلميذ : فما أسعد هذا الإنسان !.
الشيخ : أجل يا بني .. ما أسعد هذا الإنسان الذي اهتدى الى التوحيد الخالص .
التلميذ : (ذلكُ هدى الله ، يهدي به من يشاء من عباده .. ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) .
الشيخ : صدق الله العظيم ....

كِبْرٌ وكُفْر

صوت القارىء يتلو : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين .. الى فرعون وهامان وقارون فقالوا : ساحر كذاب ! فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا : اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه أو استحيوا نساءهم ، وما كيد الكافرين إلا في ضلال . وقال فرعون : ذروني أقتل موسى وليدع ربه ، اني أخاف أن يبدل دينكم ، أو أن يظهر في الأرض الفساد . وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ..)

التلميذ: حقاً انه لسر عجيب ..

الشيخ : أسرار القرآن لا تنتهي يا بني ...

التلميذ: ولذلك فقد أسمع الآية مئة مرة ، وفي كل مرة أجد فيها جديداً لم أفطن إليه من قبل ..

الشيخ : هذا ما يجب أن يكون .. ولكن ليس دائماً يكون ..

التلميذ: حبذا لو تكرمت بايضاح ما تقول يا شيخي الكريم .

الشيخ : إن القرآن العظيم يعطيك من أنواره ، بقدر ما تعطيه من وعيك وتفتحك ..

التلميذ: لا ريب في هذا ..

الشيخ : ولهذا يختلف أثره بين انسان وانسان ...

التلميذ: أليس هذا من مضمون قوله تعالى : وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

الشيخ : يسرني أن تنفذ الى هذه الأغوار أيها الفتى .. ولكن.. قل لي : أي عجب طالعتك به هذه الآيات التي سمعتها من سورة غافر ؟!

التلميذ: وأي عجب أكبر من هذا الرد الذي أجاب به فرعون وملؤه على دعوة موسى !..

الشيخ : امض في عرضك ..

التلميذ: ألا تسمع اتهامهم لنبي الله بالسحر والكذب؟..أليست هذه كلمة مشركي قريش لخاتم النبيين ، بعد عشرات القرون !..

الشيخ : وماذا بعد !.

التلميذ: وبدلاً من أن يستسلموا للحق أمام الآيات التي شاهدوها من موسى ، ازدادوا عناداً وراحوا يتآمرون عليه ، وعلى المؤمنين معه !.

الشيخ ولِمَ كل ذلك فيما تظن !..

التلميذ: لا أدري مُسوّغاً لذلك إلا محاولة الحفاظ على امتيازاتهم

وسلطاتهم التي يُوهمون بها الناس انهم من غير طينتهم..

الشيخ : ولكن ليس في الآيات اشارة الى هذا المسوغ !.

التلميذ: حقاً .. ولكني استخرجته من آيات أخرى ، من رواية القرآن عن لسان فرعون: (.. أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ، ولا يكاد يبين !.) وفرعون هنا يريد أن يخدع قومه عن جوهر الدعوة بالمظاهر التافهة ، ولذلك استخفهم فأطاعوه !..

الشيخ : وهذه نفحات من فتوح الله عليك يا بني .. بقي أن تلاحظ في آيات (غافر) الحجة التي تذرع بها فرعون لقتل موسى ..

التلميذ: ما أخبثها حجة !. انه يريد ايهام قومه بالغيرة عليهم ، فهو يقترح قتله لأنه يخشى أن يؤدي نجاح دعوته الى تغيير دينهم . فيفتح عليهم بذلك باباً لا يغلق من الفساد !..

الشيخ : ثم لا تنسى يا بني .. انه يريد بالدين مجموع النظام الاجتماعي الذي تقوم عليه حياة القوم ، ويخضعون إليه بقوة الإلفة والاستمرار .. ولا شك أن في عودة الناس الى النظام الإلهي ، الذي أرسل به موسى والنبيون أجمعون ، خطراً على أمثال ذلك الوضع الذي لا يستفيد منه إلا الطواغيت !..

التلميذ: ما كنت لأفقه هذا بنفسي ..

الشيخ : لأنه من البديهيات التي لا يألف الذهنُ ملاحظتها ..
فلا تفوتنك !

التلميذ: سأنتفع بهذا الإرشاد .
الشيخ : واذن فستتذكر أن كل محاولة للاصلاح على طريقة النبيين
لا بد أن تصطدم من قادة الضلال بأشباه هذه المزاعم ،
وأمثال هذه المؤامرات !.
التلميذ: سبحان الله !!.. ذلك ما نشاهده في حياة الرسل
وأتباعهم ، منذ أول النبيين حتى آخر المصلحين !
الشيخ : وأخيراً هل فكرت بما قال موسى في تفسير موقف
فرعون وملئه !؟

التلميذ: (يردد على نفسه): « وقال موسى ، إني عُذتُ بربي
وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » لا أتبين
مدى العلاقة بين هذه الآية وموقف القوم ..!
الشيخ : ألا ترى !.. انه يَرُدُّ كلَّ شرورِهم الى سببين : التكبر
وعدم الإيمان بالبعث !..

التلميذ: لَمْ يفُتني ذلك .. ولكن العلاقة لا تزال غامضة في
ذهني ..
الشيخ : إعلم يا بني أن التكبر بطبيعته معطلٌ لعمل العقل ،
لأنه صادر عن الغرور الذي يأبى على صاحبه الانقياد
للحق .. وهو بذلك أحد المهلكات التي حددها رسول
الله صلوات الله عليه وسلامه بقوله : (.. شح مطاع

وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه .)

التلميذ: بل يبدو لي انه منطوٍ على اثنتين من هذه المهلكات لا واحدة : أعني اتباع الهوى والاعجاب بالنفس ..

الشيخ : ولك أن تقول : مشتمل على الثلاث كلها.. فالشحيح انما يبعثه على البخل أثرة بنفسه ، لأنه يرى في العون يقدمه للمعوزين تقوية لهم ، وهو لا يريد القوة لغيره .. وهذا حكم لا يدعمه وعي سليم ، ولا مصدر له سوى الهوى، وانما يتبع المرء هوى نفسه اعجاباً بها، واغتراراً بمواهبها .

التلميذ: وبهذا التحليل الحق يكون التكبر جماع المهلكات !

الشيخ : ومعلوم أن التكبر كان ابرز خصائص فرعون وملئه ، وهذا أول الحواجز بينهم وبين الحق .

التلميذ: ومن هنا جاء التحذير النبوي من هذه النزعة الخبيثة في مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخلُ الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ..)

الشيخ : ولعلك تذكر أن تكبر إبليس هو مبدأ كل هذه الشرور التي يعانيها الجنس البشري !..

التلميذ: حقاً .. بقي أن تكشف لي عن الصلة بين التكبر وانكار البعث .

الشيخ : قليل من التأمل في الطرفين يريك ما بينهما من ترابط .

التلميذ: هذا يسير لو كان لي مثل بصيرتك .

الشيخ : تعال نتأمل معاً .. ألا تعلم أثر الايمان بالبعث في سلوك صاحبه !

التلميذ: لا ينبغي لي أن أجهل هذا .. ان الايمان بالبعث هو الضابط الأعظم لسلوك الانسان .

الشيخ : أصبت .. انه أحق شيء باسم الضمير الحي ..

التلميذ: حقاً .. لأنه هو الذي يراقب سلوك صاحبه ، ويسدد خطاه في طريق الخير ..

الشيخ : وبهذه المراقبة وبهذا التسديد يُعِدّ المؤمن نفسه للقاء ربه ، ويتزود من دنياه لليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

التلميذ: فالتكبر والايمان بالبعث اذاً ضدّان لا يجتمعان !

الشيخ : أبداً .. ولهذا يقرن الله تبارك وتعالى بين التكبر والكفر بالبعث في أكثر من آية ، وما أروع قوله في هذا الشأن (الذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون .)

التلميذ: لقد انجلى كل غامض .. ولكن .. يقال أن الفراعنة كانوا على ايمان بالبعث ، فكيف نوفق بين هذا الخبر التاريخي وبين مدلول الآية الكريمة ؟!

الشيخ : الايمان بالبعث يا بني ليس كلاماً يُقال فحسب ، ولكنه سلوك وعمل .. فرب مقرٍ به مقتنع بوقوعه ، لا يصرفه ايمانه عن أي مسلك فاسد ..

التلميذ: وما أكثر هؤلاء !.

الشيخ : مثلُ هؤلاء يا بني كمثَلِ أساتذة الشريعة الاسلامية في جامعات أوروبة واميركة قد يعلمون منها مثل الذي نعلم ، أو أكثر مما نعلم ، غير انهم ، كما ذكرت لك من قبل ، أبعدُ الناس عن الانتفاع بما يعلمون !

التلميذ : فما أحرانا اذاً ، أمـام هؤلاء المنكرين وأشباههم ، أن نردد قول رب العالمين :

الشيخ والتلميذ : (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب .)



المعجزة الكبرى

صوت المقرىء : (يا أيها الناس .. إن كنتم في ريب من البعث
فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم
من مضغة مُخَلَّقَةٍ وغير مُخَلَّقة ، لنبين لكم ، ونقر في
الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ،
ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد الى
أرذل العمر لكي لا يعلم من بعدِ علمٍ شيئاً .. وترى
الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت
وأنبتت من كل زوج بهيج ..)

التلميذ : صدق الله العظيم .

الشيخ : وتبارك الخالق الذي أبدع هذه الدقائق من عجيب
التنظيم .!

التلميذ : كنت أتوقع منك التمجيد اللائق بروعة هذه الكلمات.

الشيخ : لا خير فينا يا بني اذا لم يثر كلام الله في جوانحنا عميق
التدبر .

التلميذ : أفلا يتدبرون القرآن .. أم على قلوب أقفالها !.

الشيخ : ارجو ان لا يفوتك تصور هذه القلوب المقفلة بوجه الحق ، حتى لا منفذ فيها لشعاع .

التلميذ : يا لشقوة أصحابها !.

الشيخ : ما تصورت أشقى من شقائهم ، ولا أظلم من ظلمهم لأنفسهم !.. لكأنهم المقصودين بقول الله (ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها !.)

التلميذ : انك لتهز مشاعري بلطائف ادراكك ، فترهفها ، وتعمقها .

الشيخ : اذا بلغت هذا منك فقد حققت جل ما أريد .

التلميذ : ان حديثك بالأمس عن البعث وأثره في الأخلاق والحضارة لا يزال مدوياً في أعماق وجودي ..

الشيخ : ان في الحديث عن البعث لبعثاً روحياً ما ينبغي للمؤمن ان يفقد اثره .

التلميذ : ولعل من كمال هذا الحديث أن تصلنا آيات اليوم بالموضوع نفسه .

الشيخ : مع فرق ضروري .

التلميذ : هو ..

الشيخ : هو أنّ حديث الأمس كان حول آثار عقيدة البعث في سلوك المؤمن فرداً وجماعة، أما آيات سورة(الحج) هذه فحول إمكان البعث ، وتقريب وقائعه الى ذهن الانسان.

التلميذ : هذا الانسان الذي وصفه خالقه بقوله: (وكان الانسان أكثر شيء جدلاً .)

الشيخ : ولنحمد الله على فضله بأن أودع في الانسان هذا الطبع الجدل !.

التلميذ : كأني بك تحيط هذه الغريزة بالكثير من التقدير !.

الشيخ : كيف لا ؟!. ولولا هي لشلت قوى العقل وسدت سبل المعرفة ، ولاستحال الانسان الذي كرمه الله ونفخ فيه من روحه ، حيواناً لا عمل له سوى القضم والخضم !!.

التلميذ : حقاً .. وكأني بهذا النسق المدهش في آية البعث هذه تستهدف الاقناع العقلي بهذه الحقيقة الكبيرة ..

الشيخ : تماماً يا بني .. وهذا ما أحب ان تفطن له .. ولننظر الآن في اسلوب الآية ، لنرى بعض مواطن الاعجاز الرباني ..

التلميذ : كلي آذان أيها الشيخ الفاضل .

الشيخ : تذكر جيداً مدخل الآية ..

التلميذ : لم أنس .. انه خطاب عام الى منكري البعث ، أو المترددين في شأنه .

الشيخ : حسناً .. ثم ماذا ؟.

التلميذ : ثم عرض دقيق مثير لمراحل تكوين المخلوق البشري : من التراب الى النطفة ، الى العلقة فالمضغة ثم الطفولة فالشباب ، ثم الشيخوخة والموت ..

الشيخ : هذا انتباه معجب .. ولكنك نسيت صورة الانهيار العام الذي يهاجم الهرم فينهك الطاقة العقلية ، حتى يعود صاحبها كما بدأ .. لا ذاكرة له ولا علم عنده .

التلميذ : كان علي ألا أغفل ذلك .. !

الشيخ : هل لاحظت كيف يقف العرض الإلهي لتلك المراحل عند هذا الحد .. لينتقل بالقارىء فجأة الى شيء آخر .. يخيل إليك لأول وهلة أنه مبتوت الصلة بما تقدمه !..

التلميذ : تعني صورة الأرض الهامدة !

الشيخ : أجل .. الأرض التي فقدت كل ظواهر الحياة ، ولكن ما ان تمسها رحمة الله بالغيث حتى تدب في أوصالها الحركة والنماء ، فاذا هي تهتز ، ثم تربو بما يتفاعل في جوفها من توالد النبات ..

التلميذ : حقاً .. ان الذي أحياها لمحيي الموتى ..

الشيخ : انه على كل شيء قدير ..

التلميذ : اذن فعودة الحياة الى الموتى كعودة النبات الى الأرض .

الشيخ : لا شك ..

التلميذ : ذلك ما يؤكد عليه القرآن عند كل مناسبة يعرض فيها لذكر البعث وتوكيد حدوثه .. ولكن ..

الشيخ : ما أكثر (لكن) في تعليقاتك !.. ولكنها مع ذلك لا تزعجني ، لأنها تترجم رغبتك في المزيد من المعرفة .

التلميذ: هو كذلك .. ألا ترى أن وجه الشبه بين بعث الموتى

وبعث الأرض غير واضح تماماً !.

الشيخ : بل جد واضح فيما أرى ..

التلميذ: الجسم يبلى ويستحيل كبعض التراب .. أما النبات فهو مخلف وراءه البذور التي لا تلبث ان تستأنف سيرتها من جديد ، بمجرد ان احتواها الماء والدفء ..

الشيخ : (مقهقهاً) عفواً اذا سمعت ضحكي .. فـــان في مثلك سذاجة تدفع الى ذلك .

التلميذ: يبهجني ان تكون سذاجتي مدعاة لسرورك يا شيخي.

الشيخ : يا بني .. هل انت واثق من ان تلك الذرات التي ينحل إليها جسم الإنسان ستتلاشى الى عدم مطلق !

التلميذ: طبعاً .. لا ..

الشيخ : فأي فرق اذاً بينها وبين بذور النبات ، التي كثيراً ما تصغر حتى يخطئها البصر !..

التلميذ: لا فرق إلا أن بذور النبات تستأنف نشاطها لتعود نباتاً

الشيخ : كأنك لم تقرأ قول ربك في سورة نوح : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً ..)

التلميذ: نعم .. ولكن .. كيف ؟!.

الشيخ : وانا اقول : كيف ! إني لا أعلم الكيفية التي بها تتم هذه العملية العجيبة ، ولكني واثق بأنها كائنــة لا محالة .. لأن عودة الحياة الى مخلوق مات أهون في قدرة الله من تكوينه الأول ..

التلميذ: لا خلاف على ذلك ..

الشيخ : وعلام الخلاف اذن :.

التلميذ: هذا السر العجيب الذي ينتقل به الميت الى الحياة ، والبذرة اليابسة الى نبات !..

الشيخ : ليس هذا موضع خلاف .. ولكنه موضع دهشة .. ولسنا وحدنا الذين نقف حيارى أمام هذا السؤال فقبلنا وقف هذا الموقف كبار المؤمنين ، وكبار المجانين .

التلميذ: ماذا قالوا ؟

الشيخ : أما المؤمنون فأسلموا لله وأيقنوا بقدرته ، وأما الكافرون فبعضهم زعم ان الحياة ليست سوى حركة نتجت عن تفاعل العصارات الكيميائية في مواطنها من الاجسام .. وبعضهم زعم ان الحياة ليست إلا شرارة انطلقت من احد الأجرام السماوية الى سطح الأرض .. فأحدثت المعجزة ..

التلميذ: حقاً انهم لمجانين !.. فلماذا لا تستمر العصارات في ابداع الحياة.. ولماذا حدثت تلك الشرارة مرة واحدة ثم انقطعت ؟..

الشيخ : بل قل لكلا الكافرين : لو أخذنا بزعمكم لكان عليكم ان تنبئونا من خلق هذه العصارات .. ومن أودع الجرم السماوي خاصية الحياة ؟!

التلميذ: لا ريب ان الثقة بوعد الله ادعى الى الاطمئنان من كل تمحّل وتخمين في هذا الشأن ..

الشيخ : ومع ذلك فقد منّ الله على المؤمنين بمــــا يروي بعض عطشهم العقلي الى هذا السر المغلق ، فأضاء لهم بعض جوانبه ..

التلميذ: وكيف ؟!

الشيخ : جاء هــــذا في الحديث الذي رواه ابو سعيد في وصف أصناف أهل النار وفيه قوله: (.. ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ، فأماتتهم إماتـة ، حتى اذا كانوا فحماً اذن بالشفاعة فجيىء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم .. فينبتون نبات الحبة في حميل السيل .)

التلميذ: صورة رهيبة !.

الشيخ : اجل رهيبة .. ولكنها تكشف لك النقاب عن بعض ما تريد ..

التلميذ : لم افقه ما تبغي ..

الشيخ : ألا ترى هنا قوماً فارقوا الحياة واستحالوا فحماً ..

التلميذ: أجل .. وقد حملوا الى انهار الجنة اكداساً اكداساً ..

الشيخ : وقد ردت إليهم الحياة .. فكيف حدثت هذه المعجزة الكبرى !

التلميذ: لقد مسهم فيض من قبل اهل الجنة ، فاذا هم ينبتون

كما تنبت الحبة في غثاء السّيل .

الشيخ : فالبعث اذن اشبه شيء بعودة النماء الى البـــذور اليابسة ..

التلميذ: هذا ما يؤكده الحديث.. وكأنه تفصيل لمجمل القرآن الحكيم في هذا الأمر العظيم ..

الشيخ : وهو تفصيل كاف وشاف ..

التلميذ: أجل .. لولا جهلنا بحقيقة هذا الفيض الذي أحيا به الله تلك الأجسام المتفحمة !..

الشيخ : ما أراه إلا ضرباً من المـــاء خاصاً أودعه الله بعض عجائبه .. به يحفظ اهـــل الجنة من الممات وبه يمطر الرِمَمَ البالية فيردّ إليها نعمة الحياة ..

التلميذ: ما اعظم قدرة الله !!..

الشيخ : وما أقل الذين يعرفون لهذه القدرة حقها !..

العقل والوحي

صوت المقرىء يتلو : (إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار .. لآيات لأولي الألباب . الذين يَذكرون اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض : ربنا ما خَلَقْتَ هذا باطلا سبحانك ، فَقِنا عذابَ النار . ربنا إنك من تُدخل النار فقد أخزيته ، وما للظالمين من أنصار .)

الشيخ : اللهم اجعلنا من هؤلاء المفكرين الذاكرين المخبتين ..

التلميذ : اللهم آمين .

الشيخ : هل حاولتَ ذات يوم أن تستجليَ هذه الآياتِ التي بثّها الله في سماواته وأرضه !..

التلميذ : بمقدار ما يَبلُغُه تفكيرُ فقير مثلي .

الشيخ : انما العلمُ بالتعلم .. وكل ما يجب عليك هو أن تتعهدَ عقلك بالجلاء والصقل ، فلا يحجبه الصدأ عن الاتصال بهذه الآيات البينات .

التلميذ : وهل يصدأ العقل ؟

الشيخ : بلى . يصدأ .. ويضؤُل . وقد ينتهي الى البِلى ..

التلميذ : وكيف ؟

الشيخ : العقلُ يا بنيْ ككلِّ نعمةٍ أكرم اللهُ بها الانسان، وإنْ يكن أفضلها ، وليس في هذه النعم واحدة الا وهي صالحة للضمور والنماء .

التلميذ : البصر والسمع و ..

الشيخ : وسائر المواهب الأخرى .. ألا ترى أن إهمالك لنظافة عينيك مؤدّبها الى الفساد ، ولو أنك أغفلتها زمناً معيناً لفقدت قدرةَ الإبصار ؟.

التلميذ : هذا صحيح ..

الشيخ : وكذلك العقلُ يا بني .. ان سوء استعمالهِ مفسد لمقاييسه ، أما تعطيله عن العمل فصائر به الى الشلل ..

التلميذ : ومن أجل ذلك يكثر في كتاب الله الحضُّ على التفكير والتأمل ؟!!

الشيخ : بالتأكيد .

التلميذ : ولكن .. هل لي أن أعلم كيف يسوء استعمال العقل ؟.

الشيخ : قل لي أولا : كيف تعلمت الحساب ؟.

التلميذ : أذكر أني بدأت ذلك بتعرف الأرقام ..

الشيخ : ثم تعلمت كيف تجمع بعضها الى بعض ، ثم كيف تطرح بعضها من بعض ثم كيف تقسم بعضها على بعض ، ثم ..

التلميذ : ثم جاء دور الجاهيل فتعلمنا كيف نقيسُ الغائب على الحاضر ، وكيف نستخلص غيرَ المحدود من خلال المحدود ..

الشيخ : حسناً .. فأنت تستعمل عقلك في منهج خاص .. لو أخللت به لأخلت النتائج .

التلميذ : لا شك في ذلك .

الشيخ : مثل ذلك نسميه سوء استعمال العقل ..وهو ذو عواقب لا يتصور أخطر منها في مجال البحث عن الحق ..

التلميذ : لو زدتنا ايضاحاً أيها الشيخ الكريم ..

الشيخ : تذكر مضمون الآيات التي سمعتها آنفا يا بني ..

التلميذ : لا أنساه ..

الشيخ : ان الله تبارك وتعالى يلفت نظرنا الى آياته في علويات الكون وسفلياته .. ولكنه يجعل الانتفاع بملاحظتها ، بل الانتباه اليها خاصاً بأولي الألباب ..

التلميذ : شيء طبيعي

الشيخ : ولكن من هم أوُلو الألباب ؟.. وبأي صفة تعرفهم ؟.

التلميذ : هم .. هم ..

الشيخ : لا حاجة الى التردد بشأنهم .. انهم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم . لأنهم يرون آثار قدرته وعظمته وحكمته ورعايته وراء كل ظاهرة من هذا الكون، فلا يتمالكون أن يهتفوا بكل جوارحهم : ربنا

ما خلقت هذا باطلاً .. سبحانك فقنا عذاب النار !.

التلميذ : انه لمنهج محكم عجيب !

الشيخ : تعني طريقة هؤلاء أصحاب الألباب في تتبع الحقائق الى قرارها الموصل الى الايمان ..

التلميذ : بل المعمّق للايمان ..

الشيخ : أحسنت وان في تعبيرك لنفحة من منهجهم نفسه ...

التلميذ : بقي أن أعلم وجه الحكمة في ذكر هؤلاء للنار عقيب انتهائهم لهذا القرار ..

الشيخ : لن يفوتك ذلك عندما تذكر أن عقولهم السليمة قد دلتهم على أن الانسان ، وهو أسمى الخلائق الأرضية ، لا بد من أن يكون مسئولا عن تصرفاته أمام خالقه..

التلميذ : نعم .. نعم : (أم حسبوا انما خلقناهم عبثاً ، وانهم الينا لا يرجعون) !

الشيخ : وهكذا ترى يا بني أن العقل الذي لا يصير بصاحبه الى الايمان ، وتعميق الايمان ، واستقبال كل ما في هذا الكون بنور الايمان ، انما هو عقل مريض ، بل أشل !. ولو بلغ به الاغترار حد الانفجار !.

التلميذ : ولكن ..

الشيخ : دعنا نستفيد من (لكن) هذه .

التلميذ : لكن .. كيف نحكمُ بالمرض والشلل على عقل حقق لأهله تفجير الذرة ، واستكشاف الأفلاك ، والنزول

على سطح القمر !!

الشيخ : لا يستحيل على الأشل والمريض أن يملكا بقية من القدرة..

التلميذ : إذا كان كل هذا التقدم العلمي، الذي يشمل الغبراء والماء والفضاء، من عمل الأشل المريض.. فكيف بهذا العقل لو كان سليما صحيحا ؟!.

الشيخ : لو كان سليما صحيحاً لما رأيت شقاءنا يزداد اطرادا بازدياد مكتشفاته !.

التلميذ : مزيداً من الإيضاح..

الشيخ : قبل هذا التقدم العلمي الهائل كانت ضحايا أكبر الحروب لا تتجاوز الآلاف من المحاربين، مهما امتدت بهم رقعة المكان والزمان.. أما اليوم فقنبلتان في هيروشيما وناجاساكي قضتا على مئات الألوف، معظمهم من الأطفال والنساء والابرياء !..

التلميذ : ولقد تطورت هذه القنابل اليوم حتى باتت الواحدة منها كافية لتدمير الملايين. بل مئات الملايين !.

الشيخ : وهكذا أصبح العقل يهدد الكرة الأرضية بالدّمار!..

التلميذ : حقاً.. وكيف حدث ذلك ؟.

الشيخ : إنه الانحراف عن صراط الله يا بني.. ان الايمان بالله، ثم بالمسئولية أمام الله، هما اللذان يضبطان سلوك العقل ضمن حدود الخير، فلا يتحرك الا في مصلحة الإنسانية..

التلميذ : شيء معقول ..

الشيخ : فلما انفصلت عقول المخترعين عن هذا النور الرباني ، تعطلت صمامات الأمن ، وانهارت سدود الخطـَر ... فاذا كل خطوة في طريق الكشوف العلمية نذير بجديد من شقاء البشرية !.

التلميذ : يا للهول !.

الشيخ : بل قل : يا للجنون !..

التلميذ : كيف نوفق بين الجنون وبين القدرة على تحقيق مثل هذه الأمور الرهيبة ؟.

الشيخ : لو رأيت مهندساً يبني مركبة ترفعه الى كوكب الزهرة .. فبماذا تصفه ؟

التلميذ : انه عبقري .. بلا شك .

الشيخ : فإذا رأيته يدسُّ في المركبة لغماً يدمرها في لحظة ؟

التلميذ : أسميه مجنوناً !.

الشيخ : فأنت إذن تؤكد جنون هؤلاء ، الذين استطاعوا بالتفكير الرياضي أن يصلوا الى القمر ، ويتلاقوا فوق جو الأرض .. ولكنهم مع ذلك عجزوا أن يتقدموا شبراً في طريق الفضيلة والخير العام !

التلميذ : يا للجنون !.

الشيخ : ولو علمت أنهم في هذا السباق الفضائي ، انما يتنافسون على تجربة الأسلحة التي يعدونها لتدمير الكرة الأرضية

لصرخت بكل قواك : يا للجريمة !!..

التلميذ : يا للجريمة !!.

الشيخ : أجل يا بني .. إنهم على الأقـــل مجانين .. ولكنهم لا يصدقون بأنهم مجانين !.

التلميذ : لأنهم (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .) !

الشيخ : وما أجدرهم بوصف ربهم لأمثالهم من المجانين الأولين ، (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيـــا وهم عن الآخرة هم غافلون) !

التلميذ : ذلك هو أكبر الجهل والله ...

الشيخ : اذن فقـد أدركت الفرق المبين .. بين عقول الكافرين وعقول المؤمنين ؟

التلميذ : وأدركت أن آية العقـل السليم أن يجد في كل كشفٍ عظيم ، حافزا جديداً الى تمجيد الحكيم العليم .

صوت المقرىء (من بعيد وفي تضاؤل حتى التلاشي) : (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لاياتٍ لأولي الألباب ...)•

مَنهج رَبّانيّ

صـوت المقرىء يتلو : (وإذ قال لقمانُ لابنـــه وهو يعظهُ : يا بنيّ لا تشركْ بالله ، ان الشركَ لظلمٌ عظيم . ووصينا الانسانَ بوالديه .. حَمَلَتْهُ أمهُ وَهناً على وَهن ، وفصالهُ في عامين : أنِ اشكرْ لي ولوالدَيْكَ .. إليّ المصير . وان جاهداكَ على أنْ تُشركَ بي ما ليسَ لكَ به عـــلمٌ فلا تُطعْهما ، وصاحبْهما في الدنيا معروفاً ، واتّبع سبيلَ من أنابَ إليّ ، ثم إليّ مَرجِعُكمُ فأنبئُكمُ بما كنتمْ تَعملون. يا بنيّ إنها إنْ تَكُ مثقالَ حبةٍ من خردلٍ فتكنْ في صخرةٍ أو في السموات أو في الأرضِ يأتِ بها الله ، إنّ الله لطيفٌ خبير . يا بنيّ أقمِ الصَلاةَ وامرُ بالمعروفِ ، وأْنْهَ عـنِ المنكر ، واصبرْ على ما أصابكَ .. إنّ ذلكَ من عزمِ الأمور . ولا تُصعّرْ خدّك للناس ، ولا تمشِ فيالارضِ مَرَحاً، إنّ الله لا يُحبّ كلّ مختالٍ فخور . واقصِدْ في مشيِك واغضُضْ من صوتِك .. إنّ أنكرَ الأصواتِ لَصوتُ الحمير) .

التلميذ : تبارك منزل هذا القرآن ! .

الشيخ : وسبحان من ألهم لقمانَ هذا البيان ! .

التلميذ : ما قرأت أو سمعتُ هذه الآيات إلا وجدتني أتأمل في حكمة هذا الانسان العظيم .. وأتمنى لو يتاح لي مزيد من معرفته .

الشيخ : وماذا ينقصك اذا لم تعرف من هو لقمان ، ومن أي الألوان جلده ، ومن أبوه وأين أرضه ! . لقد خلد الله ذكر لقمان بسبب هذه الحكمة ، فاغترْف منها ما استطعت يا بني ..

التلميذ : من اجل ذلك أود لو تجعل حديثك اليوم عن هذه الآيات ، فان عقلي قاصر بمفرده عن الاحاطة بتفاصيلها .

الشيخ : لست وحدك في هذا .. ان شيخك يشاطرك الشعور بهذا القصور .

التلميذ : ذلك تواضع العلم ..

الشيخ : هو الواقع يا بني ، وسيتضح لك أكثر كلما أوغلت في تدبر هذا القرآن العظيم ..

التلميذ : حقاً انني لأشعر كل يوم بتضاؤل جديد في نفسي امام روعته ! .

الشيخ : ذلك أمر لا بد لك منه عندما تتصور أنك تلقاء الوحي الذي بدل تاريخ الانسانية ، وجعل من خامات الجاهلية خير أمه أخرجت للناس ..

التلميذ : حقاً .. حقاً ..

الشيخ : وفي آيات لقمان هذه بعض أسرار تلك المعجزة يا بني.

التلميذ : انك لتهيج اشواقي الى تفصيل هذه الأسرار .

الشيخ : لنحاول معاً تلمس بعض جوانب هذه المعاني الإلـَهية .. هل لاحظت الإطار العام الذي عرضت فيه الآيات؟ ..

التلميذ : كل ما أعلمه أنها وصية رجل صالح يزود بها ولده .

الشيخ : حسن . . إنها كذلك .. ولكن . . ألا ترى في هـذه الوصية منهاجاً كاملاً للتربية ؟ .

التلميذ : إمْ . . مْ !.

الشيخ : أعد النظر في مضمون الآيات ثم قل لي ما ترى ؟؟.

التلميذ : أرى لقمان يحذر ابنه من الشرك ، ثم يذكره برقـابة الله التي لا تفـوتها صغيرة ولا كبيرة ... ثم ينصحه بالمواظبة على الصلاة ، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالصبر على الأذى وبالتواضـع والأدب الكريم ...

الشيخ : وماذا بعد ؟ ..

التلميذ : وصية الله للانسان ببر الوالدين ، وحسن مصاحبتهما ..

الشيخ : وطاعتهما إلا أن يأمراه بمعصية الله ..

التلميذ : نعم .. نعم ..

الشيخ : هل سألت نفسك عن الحكمة في إدخال هذه الوصية الإلـَهية خلال موعظة لقمان ؟

التلميذ : سألتها .. ولكنها عجزت عن الجواب ..

الشيخ : فلنجـرب أن نفهم ذلك .. ولكن علينا اولاً ان نستحضر خطوط الوصية ، وأثر كل منها في الحيـــاة الانسانية .

التلميذ : هذا ما أتطلع اليه ..

الشيخ : لقد بدأ لقمان موعظته بتحذير ابنه من الشرك ، لأنه أظلم الظلم .

التلميذ : ظلم عظيم .

الشيخ : وأي ظلم للنفس أشد من تحويلهـا عن ضياء الفطرة ، وزجّـها في ظلمات القلق والشقاء ! . وأي ظلم للحق أنكر من أن يغمرك الله خالقك برعايته وخـيره ، ثم تتجه بطاعتك وعبادتك الى غيره ! ..

التلميذ : انه للمنكر الأكبر ..

الشيخ : وقد بدأ الموعظة بتوكيد التوحيد لأنه الضابط الأعظم لسلوك الانسان في الطريق الأقوم ، وكل انحراف عن هذا المبدأ مؤدٍ بصاحبه الى فخاخ الشيطان .

التلميذ : لا شك ..

الشيخ : إنه حينئذ كالذي يبدأ حل المعادلة الرياضية من نقطة الخطأ .. فماذا تكون النتيجة ؟

التلميذ : تجريد المجهود من كل فائدة ..

الشيخ : بـــل تحول المجهود الى تدمير نفسه ، لأن كل محاولة

للتصحيح ستزيد من مقدار الخطـــأ ، وستؤدي الى توتر الأعصاب .

التلميذ : ذلك تماماً ما أشعر به عندما أسلك طريق الخطـأ في حل المعادلات ..

الشيخ : وطبيعي ان سبيل الخلاص من هذا التمزق هو العـود الى المنطلق الأول ...

التلميذ : بالتأكيد ..

الشيخ : وكذلك الشأن في العقيـدة المضطربة ، لا سبيل الى تصحيحها الا بالرجوع الى منطلق الفطرة .. التي لا تعرف الطمأنينة الا في ظلال التوحيد الصحيح ..

التلميذ : حقاً إن الشركِ لظلم عظيم ! ..

الشيخ : وهنا تجيء الوصية الربانية بالوالدين . ويخيل إلي أن لقمان قد أمسك عن ذكرها لأنها تتعلق بحقـــه على ولده ، وقـــد آثر عليه حق الله وحـــق الآخرين ، فاستدرك الله عليه بذكر ما سكت عنه ..

التلميذ : استنتاج رائع ..

الشيخ : ولكن حق الوالدين ينتهي عند حدود الحق الإلـهي . إن لهما البر والإحسان وخفض الجناح ، ولكن ليس لهما ان يفرضا على ولدهما متابعتهما على الكفر والضلال.

التلميذ : ذكرتني بموقف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، حين أضربت والدته عن الطعام لترغمه على ترك الاسلام ،

فقال لها : والله لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفساً نفسا ما تركت ديني هذا ..

الشيخ : فاعلم اذن أن موقف سعد من أمـه كان هو السبب في نزول هذه الآية وأخوات لها ..

التلميذ : الآن علمت ..

الشيخ : ثم يمضي لقمان في ترسيخ قواعد التوحيد في قلب ابنه ، عن طريق تزويدها بالمحصنات الخلقية ، وأولهـا تعبئة الضمير بمراقبة الله في كل عمل جل أو قل ، فإذا علم المؤمن أنه تحت مراقبة ربه استحيا من الإقدام على معصيته .

التلميذ : طبعاً ..

الشيخ : ثم تأتي الصلاة وتنصب التوصية على وجوب اقامتها لا مجرد أدائها .

التلميذ : وأي فرق بين الاقامة والاداء ؟ .

الشيخ : سأحدثك عن هذا الفرق في مجلس آخر .. فامض معي الآن إلى بقية المنهاج ..

التلميذ : ويا له من منهاج .!

الشيخ : كل ما تقـدم من الوصية يؤلف أحد قسميها ، وهو الخاص بالفرد ، ولكن الفرد جزء من الجماعة ، وعليه التزامات نحوهـا لا مندوحه من أدائها .. فما هـذه الإلتزامات ؟ .

التلميذ : ذلك ما أنتظر جلاءه .

الشيخ : وذلك هو القسم الاجتماعي من الوصيـــة . إنه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهمـــا الأساس في كل واجب إجتماعي ، ولأهميتهما جعلهما الله ثلثي الصفات التي ميز بها هذه الأمة ، فكانت خير أمة ..

التلميذ : (في همس خاشع) : تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله !

الشيخ : إن للبشرية فضائـل هي بمثابة صمامات أمن لا انتظام لأمرها الا بالحفـــاظ عليها ، وفيهـا أشرار سريعو الاستجابة لدعاة الضلال ، فاذا أهمل شأنهـم لا تلبث هذه الفضائل ان تتلاشى ، بما يتغلب على المجتمع مـن الرذائل والمفاسد ..

التلميذ : ذلك ما نشاهده ..

الشيخ : ولذلك جعل الله حراسة هذه الفضائل فرض عين على كل مؤمن ، ضمن حدود طاقته .. وذلـك هو الأمر بالمعروف .

التلميذ : بقي النهي عن المنكر ..

الشيخ : المنكر هو الرذائل المدمرة لهنـــاءة المجتمع .. ومجرد الأمر بالمعروف هو نهي عن ضده .

التلميذ : لقد زاد الآن فهمي لمعنى الحديث الشريف ، الذي مثل به رسول الله المجتمع بالسفينة ، أراد بعض الأغرار

ثقبها . . وهم لا يعلمون أنهم بذلك يعرضون السفينة ومن فيها للغرق .

الشيخ : زادك الله نوراً . فاذكر إذن تتمة حديث السفينة .

التلميذ : قال عليه السلام : (فإذا أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم .)

الشيخ : فافهم هذا إذن جيداً . ولا تنس أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد شديد ، لا يصلح له إلا أولو الحظ الكبير من الصبر لهذا يعقب الله عليهما بهذا الامر العظيم : (واصبر على ما أصابك .)

التلميذ : ويذيـــل ذلك بقوله الحكيم : (إن ذلك من عـزم الأمور .)

الشيخ : وهنا نتساءل : هل تذكر بقية القسم الاجتماعي مـــن الوصية ؟ .

التلميذ : الأمر بالتواضع ، والنهي عن المرح ، والاعتـــدال في المشي ، ثم خفض الصوت عند الكلام ..

الشيخ : لا يمكنك تقدير جلال هذه الوصايا إلا عندما تتصور إنساناً يمر بك مستكبراً ، ينظر اليك باشمئزاز ، وهو ضاحك مقهقه أبدا ، لا يعنيه شيء من آلام الناس او تبعات الغد ، عجلان في سيره ، كأنه يطارد ظله ، ملعلع الصوت كأنه حمار ينهق .. !

التلميذ : إنه مخلوق تافه بغيض لا أستطيع النظر إلى وجهه .

الشيخ : أنت على حق .. لأن الله لا يحبه .

التلميذ : (في خشوع) : إن الله لا يحب كل مختال فخور .

الشيخ : والآن قل لي : هل سرك ماعلمت من جوانب الجلال في هذا المنهاج الإلَـهي !

التلميذ : بـــل أسعدني . . وكم أود لو شاركني في استماع حديثك هـــذا كل والدٍ ووالدة، حتى يعرفا الطريق الحق الى سعادة أولادهما ..

الشيخ : أما أنا فأقول : كم أتمنى لو اتخذ العالم الاسلامي كله من هـــذا المخطط الرباني أساساً لكل البرامج الخاصة بالتربية والتعليم ..

التلميذ : ولو فعل المسلمون هذا لنشأ على أيديهم الجيـــل الذي تنتظره الدنيا .

إنصات وتدبّر

صوت المقرىء يتلو : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

(ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لِذِكْرِ الله ومــا نَزَلَ من الحق !!.. ولا يكونوا كالذين أُتوا الكتابَ من قبلُ فطال عليهم الأمــدُ ، فقستْ قلوبُهم وكثيرٌ منهم فاسقون. اعلموا أنَّ الله يحيي الأرضَ بعدَ موتها .. قــد بيّنّا لكمُ الآيات ، لعلَّكمُ تعقِلون .)

الشيخ : اللّهم إن قلوبنا بيدك فليّنْها لذِكرك ، واجعلنا لك من الخاشعين ..

التلميذ : آمين .. آمين يا رب العالمين ..

الشيخ : يسرني أن أرى هــذه الدمعات على أجفانك وأنت تستمع الى كتاب الله ..

التلميذ : لا أدري أي قشعريرة تعتريني أمام مثل هــذه الآيات العجيبة .

الشيخ : حقاً إنها لعجيبة يا بني.. ولكن هل جربت أن تستبين مواطن العجب فيها ؟ ..

التلميذ : ما أشد عجزي عن ذلك !! ..

الشيخ : حاول أن تخفف من هذا العجز ..

التلميذ : هيهات !.. كل ما أحسه عند استماع هـذا القرآن هو أن سحابة من نور غير منظور تغمرني من حيث لا أدري ، فإذا حاولت ترجمة إحساسي بها عقـد العي لساني ، وعصرت النشوة أجفاني ..

الشيخ : هذه نعمة أتمنى لك المزيد منها . . ولست الوحيد في ذلك . . ألم أحدثك بخبر المدرسة الألمانية مع الأمير شكيب !

التلميذ : أليس هو الأمير شكيب أرسلان .. رحمه الله ؟؟

الشيخ : بلى هو . . ذلك الرجل الذي كان أمة وحده في العمل للإسلام ، ومعرفة أحوال المسلمين منذ مطلع هـذا القرن ..

التلميذ : ومع ذلك كله لم ينج من الطاعنين !..

الشيخ : بل العجب أن ينجو .. لقـد كان شكيب أحد قادة الدعوة إلى وحدة الصف الإسلامي في العالم .. فهـل تريد من أعداء الاسلام وأذنابهم أن يرضوا عن دعوته ، او يقفوا مكتوفي الأيدي أمام صيحته !!..

التلميذ : أبداً . . وليت شكيباً قد عاش إلى اليـوم ليرى الى هؤلاء الأذناب وهم يحاولون سد الطريق دون كل تقارب إسلامي !

الشيخ : دعنا من هؤلاء المساكين الذين باعوا أنفسهم للشياطين..
ولنعد إلى خبر المرأة الألمانية .

التلميذ : كلي آذان .. ايها الشيخ الحكيم

الشيخ : كان الأمير شكيب يتلقى دروساً في اللغة الألمانية على
يد هذه المرأة ، اثناء وجودها في استانبول ، وقد
جعل موعد الدرس صباح كل يوم ، عقيب حصة
القرآن ..

التلميذ : أكان يدرس القرآن أم يدرّسه !.

الشيخ : بل كان يتلو أو يستمع اليه في كل صباح .. وذات يوم
دخلت عليه ، وهو يصغي مع أهله الى آيات منه ،
فجلست في خشوعٍ ثم ما لبثت أن فاضت عيناها
بالدموع ..

التلميذ : لعلها كانت تحسن العربية ؟ .

الشيخ : بل لا تحسن منها حرفاً . . وهذا ما أدهش شكيباً ،
فسألها يومئذ عن سبب هذا البكاء ..

التلميذ : نعم .. نعم !..

الشيخ : فقالت له : في الحقيقة لا أدري لهذا البكاء سبباً
محدوداً ! : لكنني شعرت أن في هذه النفحات شيئاً
يسيطر على مشاعري ، فلا أستطيع له دفعا .. ثم
جعلت منذ ذلك الحين تبكر للإستمتاع بهذه النفحات .

التلميذ : ذلك قبس من قوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على

جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله.. » فكيف لو أحاطت بمعاني تلك الآيات ..

الشيخ : او بعضها على الأقل ..

التلميذ : إذن لارتفع مدها الروحي !

الشيخ : ذلك تعبير لا يهتدي إليه إلا المخالطون بأرواحهم لمعاني القرآن !

التلميذ : أسأل الله ذلك .

الشيخ : ولا تنس ان تجعل لشيخك حظاً في هذا الدعاء يا بني .

التلميذ : وكيف ينسى التلميذ معلمه ؟..

الشيخ : بارك الله فيك من وفيّ !.. بقي ان أنبهك الى العبرة في خبر المرأة الألمانية هذه ..

التلميذ : ما أشوقني الى ذلك ! ..

الشيخ : إسأل نفسك أتراها كانت تحس بشيء من تلك النفحات لو شغلت عنها بشيء آخر !

التلميذ : أبداً ..

الشيخ : وهذا يعني يا بني أن على الراغب في الانتفاع بالقرآن أن يحسن الإصغاء إليه ، وان يفتح قلبه عليه ..

التلميذ : وكيف ؟

الشيخ : ليكن جواب استفهامك بلسان إقبال..محمد إقبال.. ألا تذكره ؟ .

التلميذ : وهل أنساه ، وهو شاعر الإسلام الأكبر في هذا العصر وماذا يقول ؟!

الشيخ : يحدث إقبال عن أبيه فيقول : عودني والدي أن أُقبلَ على تلاوة القرآن عقيب صلاة الفجر .. وذات يوم مرّ بي وأنا أتلو ، فقال : ما تصنعُ يا بني ؟! قلت : أتلو حزبي اليومي من كتاب الله .. فمضى ، وفي اليوم التالي وقف عليّ يلقي السؤالَ نفسه ، فرددت بالجوابِ نفسِه ، ثم في اليوم التالي جاء يكرر العبارةَ ، فقلت : إن في سؤالك معنى آخر .. فلو أوضحته .. فقال الوالد الصالح: يا بني ، أحببت أن أنبهَك إلى الحالة التي يجب أن تكون عليها عند تلاوة القرآن .

التلميذ : (مقاطعاً) هذه مفاهيم جديدة ! فما الحالةُ التي يجب توفرها عند تلاوة القرآن ؟

الشيخ : السؤال نفسه الذي وجهه إقبال إلى أبيه !.

التلميذ . حسن .. وماذا كان جواب أبيه ؟

الشيخ : قال الوالد الصالح: يا إقبال .. إن عليك أن تقرأ القرآن وكأنك تتلقاه من لسان رسول الله مباشرة .

التلميذ : إنه لجواب كبير مثير !.

الشيخ : ولعل والد إقبال قد قبس كلمته من ذلك الرجل الصالح الآخر ..

التلميذ : ومن هو ؟

الشيخ : لا أذكر اسمه .. ولكنه واحد من صالحي البيت النبوي ..

التلميذ : رضي الله عنهم .. وماذا قال هذا الصالح ؟.

الشيخ : حدَّث عن نفسه فقال: كنت أقرأ القرآن بدافع العادة فلا أحسُّ له أثراً غير عاديّ ، ثم رفعني اللهُ درجةً ، فإذا أنا أقرؤه وكأنني أتلقاه من فم رسول الله ، ﷺ ، ثم رفعني الله درجة فإذا أنا أقرؤه وكأنّ جبريلَ يتنزلُ به على روحي !

التلميذ : يا لله !!

الشيخ : أفهمت الآن كيف يجب على المسلم أن يستمع القرآن . وكيف يجب أن يقرأه ؟.

التلميذ : أوشكت أن أفهم ..

الشيخ : إذن فقد قاربت أن تفقه مدلول قول الله تبارك وتعالى: « وإذا قُرِىءَ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » . وقوله عزَّ وجل : « أفلا يتدبَّرون القرآن .. أم على قلوبٍ أقفالها !! » .

التلميذ : ولا خشوع بغير إنصات، ولا تدبر بغير تأمل وتفكير ..

الشيخ : إذن فعلى ضوء هذه الأشعة الروحية يحسن بك أن تتدبر مضمون الآيتين اللتين كنا نستمع إليهما في مطلع هذه الجلسة ..

التلميذ : (في همس خاشع) .. « ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذكر الله !!.. » .

الشيخ : فقل لي إذن ما ترى في هذه الآيات ؟.

التلميذ : أرى .. أن اللهَ يُحبِّبُ إلى المؤمنين الخشوعَ لذكره،

والتجاوب مع وحيه..ويحذّرُهم أن يصيروا إلى ما انتهى إليه أهل الكتاب، من الجمود أمام آياته، ومما استتبع ذلك من الفسوق عن أمره !.

الشيخ : حسن، ولكن وراء هذه المعاني معانٍ ومعان ..

التلميذ : والنفاذُ إليها من شأنك لا من شأني ..

الشيخ : لنحاول معاً استكشافها يا بني ..

التلميذ : إليك سمعي وقلبي ..

الشيخ : ذُكر في أسباب النزول لهذه الآيات أن بعض الصحابةِ أكثروا من المزاح، فكانت تنبيهاً لهم إلى الأليق بهم من صفات المؤمنين . والخشوع للحق يا بنيِ من خصائص القلوب الحية، إذ هي كالمصباح السليم، يلتقي بالتيار الكهربي فيضيء لفوره، ومن شأن الإسراف في المزاح أن يضعف هذه الخاصّة في القلوب، فإذا توالى عليها انتهى بها إلى الخراب فالموت، كالمصباح الذى فقدَ سلامته، فلو سلطتَ عليه كهرباء الدنيا جميعها لم تبعث فيه أي خيطٍ من النور ..

التلميذ : ولكن .. ما شأن أهل الكتاب في هذه المناسبة ؟.

الشيخ : لقد تشاغلوا عن آيات الله، حتى جفّت قلوبهم، فلا تتأثر بالوحي.. ثم أدّى ذلك بأكثرهم إلى ألفة المعاصي، فالفسوقِ عن أمر الله، فكانوا من أجل ذلك عبرةً للمؤمنين، يتعلمون منها كيف يتجنبون مصيرهم ..

التلميذ : وما أكثر المسلمين الهاجرين للقرآن ، المشغولين عنه بما سَخُفَ وهان !.

الشيخ : وما أحوجَ هؤلاء يا بني إلى الانتفاع بالآية الثانية : « إعلموا أن الله يُحيي الأرض بعد موتها .. »

التلميذ : وما علاقة الأرض الميتة بهؤلاء ؟!.

الشيخ : إنهم بهجرهم للقرآن ميتون .. ولا حياة لهم إلا بالعودة إليه ..

التلميذ : فالله إذن إنما ذكر إحيـاء الأرض ليدلَّ المؤمنين على الوسيلة التي بها يُحيي القلوب !.

الشيخ : تماماً . فبالغيث يحيي اللهُ الأرضَ التي أقفرت من النبات، وبالقرآنِ والإحسانِ يُحيي الأفئدةَ التي فقدت خاصة الحياة !.

التلميذ : اللهم أنِرْ عقولنا بالقرآن ..

الشيخ : آمين .. واجعله اللهم ربيعَ قلوبنا .

التلميذ : آمين .

الشيخ : وجلاءَ همّنا ..

التلميذ : آمين .

الشيخ : وذهاب غمنا ..

التلميذ : آمين .

أبواق الشياطين

صوت المقرىء يتلو من سورة (فصلت) : « .. ومن أحسن قولاً ممن دعـا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال : إنني من المسلمين . ولا تستوي الحسنة ولا السيئـة ، إدفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم ، وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو حظٍ عظيم ..)

التلميذ : حقاً ، إنها لقمّة لا يستطيع تسنمها إلا المحظوظون .

الشيخ : لعلك تتحدث عن (إفرست) في الهند ، أو (مونبلان) في فرنسة ؟.

التلميذ : ما أرى هاتين القمتين أذهب بالارتفـاع ، وأشق في الصعود ، من تحقيق الخلال التي تدعو إليها هذه الآيات البينات .

الشيخ : ومع ذلك فإنها لقريبة المتناول ممن فتح لهـا قلبه ، ووقف على التحقق بها عزمه .

التلميذ : ولكن النجاح في هـذا المضمار مرهون بقدر الله .. ولا قيمة لهمة الفرد أو عزيمته .

الشيخ : تذكـّر يا بني كلمة إقبال : الضعيف يعتذر عن عجزه بالقدر ، والمؤمن الحق يشعر بأنه بعض ذلك القدر .

التلميذ : الحق إنني عاجز عن إدراك ما يريده إقبال في هـذه العبارة ، فلو تكرمت بإيضاحها !.

الشيخ : التوسع في هـذا الجانب من الموضوع يقحمنا في مبحث القضاء والقدر ، وهو أمر لم يحن موعده بعد .

التلميذ : إذا لم يتسع الوقت لتفصيله كله فلا أقل من أن تقتصر به على ما يتعلق بمضمون الآيات .

الشيخ : ذلك من حقك ، فاذكر لي أولاً خلاصة وافية لِما فهمته أنت من الآيات !.

التلميذ : إن الله عز وجل يحثنا على الدعوة إليه ، ويحببنا بالعمل الصالح ، ويوجهنا إلى الأسلوب الأمثل في معالجة القلوب ، حتى تستجيب لأمره !.

الشيخ : ثم ..

التلميذ : ثم يختتم هذه الوصايا الفضلى بالتوكيد على أهمية الصبر في أخلاق الداعي !.

الشيخ : حتى الآن يبدو المضمون متسلسلاً في ذهنك ، فأين الجانب الغيبي ، أين جانب القدر في الموضوع ؟.

التلميذ : إنه في قوله تعالى « وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم .. »

الشيخ : ومــاذا فهمت من مدلول (الحظ) في هذا التذييل الحكيم ؟

التلميذ : الحظ .. هو الحظ !.

الشيخ : يبدو لي أنك لم تستطع التخلص من مفهوم العامّــــة لهــذه الكلمة ، إذ يطلقونها على كل حادثة خارجة عن كسب الإنسان ، بل لا يفهمون الحظ إلا ضرباً من الصدفة العمياء لا تقدير وراءها !.

التلميذ : لا أرى لفهمهم هذا وجهاً معقولاً ، ولكني مع ذلــك لا أستطيع التخلص من إيحائه ؟

الشيخ : هذه بقية من رواسب البيئة ، فتذكر إذن مــــا سبق أن فصّلته لك ، وهو أن ليس في الوجود شيء اسمــه الصدفة !.

التلميذ : أبداً ؟!!..

الشيخ : أبداً وأزلاً .. وإنمــا هي مقدّرات تدق على عقولنا ، وتفوق تعليلنا فنسميها الصدفة !.

التلميذ : والحظ ، أليس من هذه المقدّرات ؟!..

الشيخ : الحظ هو القسم الذي تحظى به مطلقاً ، فكل ما انتهى إلى ملكك أو اتصفت به من مزية فهو حظك !.

التلميذ : وفي الآية ..

الشيخ : إنه القِسم الذي امتاز به ذلك الداعية إلى الله ، ولكنه قسم غير محدود النوع والنسبة ، إذ جـاء نكرة وغير مضاف ، وفي ذلك حكمة عالية !.

التلميذ : فما السبيل إلى تعيين نوعه إذن ؟.

الشيخ : جو الآية هو الذي يحدد نوعه ومدلوله !.

التلميذ : إدن فهو حظ عظيم من الصبر !.

الشيخ : أو حظ عظيم من القبول عند الله !.

التلميذ : أو من كليهما معـــاً ، إذ لا أمل في رضوان الله إلا للصابرين على عقبات الطريق .

الشيخ : تعليل موفّـق ، بقي أن تعلم أن في الآيات جوانب لم تفطن إليها ، ولا غنى لمؤمن عن الإلمام بها .

التلميذ : ذلك مدى يفوق طاقة التلميذ ، ولا َغنـــاءَ فيه عن خبرة الشيخ !.

الشيخ : فلنجرب معاً الاهتداء إليه !.

التلميذ : هاك يدي ..

الشيخ : لقـــد استخلصتَ من الآية الأولى فكرةَ الحض على الدعوة إلى الله ، ثم العمل بموجباتهـــا فقط .. أليس كذلك ؟

التلميذ : أو ليس هذا معنى قوله تعالى : « ومن أحسنُ قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين » !

الشيخ : إنه بعض معناها لا كله !.

التلميذ : لا أفهم مرادَك !.

الشيخ : ستفهم جيداً إذا انتبهت إلى صياغـة الآية ، ألا ترى كيف صُبت في قالب الاستفهام الإنكاري ؟.

التلميذ : نعم .. أرى ذلك !.

الشيخ : فماذا تلمح في هذا الأسلوب ؟.

التلميذ : ألمح .. ألمح !.

الشيخ : لا يضطربْ فكرك فالمضمون واضح ، إن الآية تقرر أموراً ثلاثة :

التلميذ : الأول ؟

الشيخ : إن أفضل الكلام هو الذي يقال في الدعوة الى الله .. إرشاداً للحائرين ، وهدايةً للضـالين ، ورداً للقطيـع الضائع الى الطريق الأمين ..

التلميذ : والثاني ؟

الشيخ : هو حسن الأسوة ، الذي يجب أن يتوفر في شخصية الداعي ، بصورة تُقنع المدعوين أنه لا يدعوهم الى وهم أو مستحيل ، وبذلك يترجم أفكاره الى عمل ، ومعلوم أن كل فضيلةٍ لا تتجسم في واقع مشهود لا تزيد الناس إلا بُعداً عنها ..

التلميذ : ولهذا يؤنّب الله تبارك وتعالى أهل الكتـاب الأول

بقوله : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ؟. أفلا تعقلون !. »

الشيخ : أرجو ألا ننسى كذلك أنه يوجّه أشد من هذا التأنيب إلى أهل الكتاب الأخير فيقول لهم : « يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون !. كبرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

التلميذ : ما أسوأ أن يدعو إنسان إلى خير لا يعمل به !. والآن ننتظر من فضيلة الشيخ بيان الجزء الثالث .

الشيخ : أعد النظر في الآية .. وقل لي: أين ينحصر هذا الجزء ؟

التلميذ : إنه في قول الداعي : « إنني من المسلمين .. »

الشيخ : هو كذلك.. إنه في هذا التصميم على اعتبار أفخر الفخر وأمجد المجد أن يكون الإنسان من المسلمين !.

التلميذ : وما أعزّها هويةً !. تلك التي جعلها الله رسالة النبيين، والرباط الجامع بين أصفيائه من الأولين والآخرين !

الشيخ : ذلك هو الطريق الذي لا نجاة بغيره « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » .

التلميذ : الآن تذوقتُ انفعالَ ذلك الشاعر المؤمن الذي يقول :

أبي الإسلام .. لا أب لي سواه

إذا افتخروا بقيس أو تميم

الشيخ : ولكنَّ أخوَفَ ما أخافه عليك أن تقف بهذه المعاني عند حدود الفخر والاعتزاز .. يجب أن تتذكر يا بني أن مجرَّد إقرار الإنسان بالإسلام إنما هو عهد يقطعه على نفسه بأن يُسلمَ وجودَه كله إلى الله ، فلا يخرج عن أمره ، ولا يقبل غير حكمه ..

التلميذ : هِم م م !.

الشيخ : لا مجال للتردد في هذه الحقيقة ، وإلا لم يَسلم ذلك الإنسانُ من التناقضات التي يرتطم فيها الداعون إلى العرقية الجاهلية ..

التلميذ : أولئك المهرجون الذين يحاولون تجريد العروبة من روح الإسلام ؟.

الشيخ : أجل .. الإسلام الذي دخل به العرب أبواب التاريخ ، يريدون استبعاده عن أمتهم ليسلموها لقمة هينة إلى أعدائها !.

التلميذ : ومع ذلك لا يستحيون من الادعاء بأنهم مسلمون !.

الشيخ : مسلمون !. أجل مسلمون .. ولكن . شتان يا بني بين من أسلم وجهه لله ، ومن أسلم نفسه لأعداء الله !

التلميذ : أولئك خطباء الفتنة ، رضوا لأنفسهم أن يكونوا أبواق الشياطين ..

الشيخ : وفي سبيل شياطينهم يعادون كل دعوة إلى الإسلام ، ويحاربون كل داع لتقارب المسلمين !.

التلميذ : ما أشبههم بأولئــــك المفتونين ، الذين إذا ذُكر الله وحدَه اشمأزت قلوبهم ، وإذا ذُكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون !

الشيخ : بل لكأنهم هم !

التلميذ : ما أشد نقمتي منهم !

الشيخ : أما أنا فما أشدُّ رثائي لهم !. إنهم يا بني من الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا ، ويحسبون أنهم مهتدون !.

التلميذ : اللهم احفظنا من هذا الضلال المبين ..

الشيخ : واجعلنا من الداعين إليك مخلصين .

التلميذ : آمين .

الشيخ : والمعتزين بأنهم من المسلمين ..

التلميذ : آمين يا رب العالمين ..



حَديثُ القمر

صوت المقرىء يتلو : (.. وآيةٌ لهم الليل نسلخُ منــــه النهارَ فإذا هم مُظلِمون . والشمسُ تجري لِمستقرٍ لها ، ذلك تقديرُ العزيزِ العليم . والقمرَ قدرناه منازلَ حتى عاد كالعُرجون القديم . لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليلُ سابقُ النهار ، وكلٌ في فلكٍ يسبحون ..)

التلميذ : صدقَ اللهُ العظيم .

الشيخ : وتباركَ المبدعُ الحكيم !.

التلميذ : ما أغربَ هذه الصدفة !.

الشيخ : وأيةُ صدفةٍ أيها الفتى ؟.

التلميذ : إنه حديث القمر ، وما تتناقلـُـه الصحفُ العالمية من أنبائه هذه الأيام ..

الشيخ : تُريد أنباء الجهازِ الذي وضعَه الروسُ على سطحِه !

التلميذ : نعم.. هو ذاك . كنت مصمماً أن أسألك رأيك في هذه الأنباء، فإذا نحن نسمع هذه الآيات المباركات تشدّنا إلى

الموضوع شدّاً ! حقاً إنها لَصدفةٌ عجيبة !.

الشيخ : أخبِرْني أولاً لِمَ اخترتني لسؤالك ، وأنت تعلم أن اختصاصي في غير هذا الموضوع !

التلميذ : لِما أعلمُه من تتبعِك لسيرةِ العلمِ في كل مكان .. وقد طالما نبهتني أن الاسلام يَشملُ الحياة كلها ، وأن الإلمامَ بعلوم الدنيا ضرورةٌ لا بد منها لعلمائِه ..

الشيخ : ذلك ما درجَ عليه سلفُنا الصالح ، ولو رجعتَ إلى مؤلفات شيخ الإسلام إبن تيمية والرازيّ وغيرهما ، لرأيت من كلامهم في هذه العلوم الفلكية ما يُعجب ويُطرب . والآن دعني استوضحُك عما تريد بكلمة (الصدفة) .

التلميذ : يُراد بكلمةِ الصدفة كلُّ حادثٍ يقعُ من غير تقدير ، ودون توقع ..

الشيخ : العلمُ يا بني لا يعرف كلمة (الصدفة) . إنه لا يؤمن بحدوث شيء دون تقدير !.

التلميذ : هِ . . م . . م .. !

الشيخ : حتى همهمتُك هذه ما كانت لتحدثَ لولا عشراتُ الأسبابِ التي سبقتها ..

التلميذ : إذن فليس هناك شيء اسمه صدفة !.

الشيخ : أبداً.. وإنما هي دقائق تفوت لطائفُها بعضَ العقول ، فلا أقلَّ من أن تعترف أمامها بالعجز .

التلميذ : ولذلك قالوا : كلمة (لا أعلم) نصف العلم ..

الشيخ : وهي كذلك ، لأنها إقرار العقل بواقعه المحدود ..

التلميذ : كيف يكون العقل محدوداً وقد استطاع الوصول إلى القمر !

الشيخ : سيظل محدوداً ولو تجاوز القمر إلى المرِّيخ والزُّهَرة وعُطارد .. ما دام محكوماً بقوانينِ القدر !.

التلميذ : هذه طلاسم لا أفهمها !

الشيخ : حسناً ، ألم تسمع قولَ الله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » ؟

التلميذ : وهل أنساه ؟

الشيخ : والقدرُ يا بني ترتيبٌ وتنظيم وربطٌ للأسبابِ بالمسببات .. ثم غائيّةٌ يستهدفها هذا الإتقان البالغ .

التلميذ : نعم .. نعم ..

الشيخ : فالعقل إذن شيء له قوانينه التي قدرها الخالق ، فهو يعمل في حدودها لا يستطيع لها تجاوزاً ..

التلميذ : بدأت أفهم ..

الشيخ : فإذا كان العقل مزوداً بإمكانات الاتصال بالكواكب ، كانت الغرابة هي أن لا يحقق هذا الاتصال .

التلميذ : حقاً .. ولكن .. كيف نعرفُ ذلك ؟. وبكلمة أوضح .. هل في كلام الله ورسوله ما ينفي هذه الإمكانات ؟!..

الشيخ : إرْجعِ البصرَ أولاً في الآيات .. ثم قل لي: ماذا ترى؟
التلميذ : أرى فيها حثاً للعقل البشري على التفكير بهذا التنظيم الإلهي : تكوينِ الليل والنهار ، وعلاقتـــه بحركةِ الشمس في جريانها الدقيق ، ثم القمرِ في مسيرتهِ ذات المراحل المتغيرة .

الشيخ : ثم ماذا ؟
التلميذ : ثم ..

الشيخ : ألا ترى خاتمةَ الآيات وهي توجـــهُ الفكر الى تلك الأعجوبة الأزلية اليومية الكبرى !
التلميذ : أعجوبة !

الشيخ : أجل .. وهل ثمة اعْجبُ من أن تنطلقَ كلُّ هـــذه القوى في قضاء واحد ، كل يعمل على تحقيق مهمتِه ، دون أن ينحرف عن مداره قيد شعرة !.
التلميذ : ألله أكبر !.

الشيخ : ما الذي يُوحيه إليك هذا التنظيم يا تلميذي اللبيب ؟
التلميذ : كلُّ ما من شأنه أن يعمق جذور الإيمان ..

الشيخ : نتيجةٌ .. عامة ولكن العلم يتطلب دائماً التفصيل ، والتعليل ، والتحليل !.
التلميذ : ذلك ما أُحاول التمرسَ به على يديك .

الشيخ : إذن فتذكر يا بني أن مثل هذا التنسيق المدهش إنما

يشهدُ بكمالِ مبدعـــه ، وجلالِ حكمته ، وتوكيد وحدانيته ..

التلميذ : حقاً .. فإن أيّ عمل إنما يمثل قدرة صانعِه ، ولا ريب أن في صنع الأفلاك وتقديرها ، ثم تسخيرها لتحقيق منافع الأحياء ، على هذا النحو من الدقة البالغة لآيات بينات !

الشيخ : يعجبني استعمالك هنـــا للفظ (التسخير) ، فكيف وَثبَ إلى لسانك ؟

التلميذ : من قول الله تعالى في سورة إبراهيم « .. وسخّر لكم الشمسَ والقمرَ دائبين ، وسخرَ لكم الليل والنهار »

الشيخ : هـذا ربطٌ حكيم يمثـل طلائع النضج العلمي ، فلا تنسَ إذن أن لفظ التسخير قـد ورد في كثير من مثل هـذه المناسبات القرآنية ، ولو أنت أنعمت الفكر في موحياته لوجدت لديهـــا أكثر من جواب على سؤالك الفلكي .

التلميذ : زدني إيضاحاً رحمك الله ..

الشيخ : لقد علمتَ يا بني أن الله يقصُّ علينـــا خبر التنظيم الكوني في العديد من السور القرآنية ، فيلفت أنظارنا إلى العلويات والسفليات ، وإلى جلائل الآيات ، ودقائق الموجودات ، ليربطنا به ، ويسعدنا بحبه ، وليرينـــا مقدار رعايته لنا بما رتب لمنافعنا .

التلميذ : حقائق لا تُنكر !.

الشيخ : وقد رأيتَ كيف عبّر عن هـذه الرعاية بالتسخير .. والشمسُ والقمر والليل والنهار .. كل أولئك مسخراتٌ بأمره ، لنا نحن بني آدم ، وهو تسخير مطلق لم يقيـده بحدود ..

التلميذ : نعم .. نعم ..

الشيخ : وإذا كان من منافعِ القمر تحديد المواقيت للعبـادات والمعاملات ، فمن منافعه كذلك ما أودعـه الله من خواصّ تؤثر في حركة المـدّ والجزر وبِـنْـيةِ العظام والنبات ، وما إلى ذلك مما نعلم ونجهل ..

التلميذ : ولعل ما نجهل من خواصّه أكثر مما نعلم !.

الشيخ : بالتأكيد ، فنحن كل يوم أمام حقيقة جديدة من قول الله « ومـا أوتيتم من العلم إلا قليلاً » !. والذي أريد تذكيرك به هنا هو أن الوصول إلى القمر — إذا كان من الممكنات — فهو لا يعدو أن يكون داخـلاً في مدلول التسخير الذي ركزه الله في طبيعته !.

التلميذ : ولكني سمعت بعض العلماء ينكرون هذا الإمكان ، ويقطعون باستحالته ، بل إنهم ليتهمون أخبار الأجهزة المرسلة إلى القمر بأنها أكاذيبُ لا ظل لها من الواقع !

الشيخ : الناس يا بني يُخطئون ويصيبون .. فلهم أن يتوقفوا في هذا الأمر حتى يتبين لهم صدقـه أو كذبه ، إما أن يرفضوا حقيقةً ثابتـة تسجلها الآلات الصماء ، وهم

يحسبون أنهم بذلك يؤيدون الكتاب والسنة ، فشططٌ لا تسمح بة الشريعة ولا العقول الصحيحة ..

التلميذ : ذلك هو الحق ..

الشيخ : لقد حدث أن واحداً من كبار المفسرين أنكر إمكانَ ارتفاع الإنسانِ عن سطح الأرض بالطيران الصناعي، واتخذ له سنداً من قول الله : « يا معشر الجنّ والإنسِ إن استطعتم أن تنفذوا من أقطارِ السموات والأرضِ فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان » .

التلميذ : وطار الإنسان .. فماذا قال بعد ذلك ؟

الشيخ : لا أدري ماذا قال .. ولعله توفي قبل نجاح الإنسانِ في الطيران !. ولكن المهم أن كثيرين من المنحرفين اتخذوا من تفسيره الفاشل حجةً على الوحي الذي لا يأتيه الباطل !.

التلميذ : حقاً إنه تفسير فاشل !.

الشيخ : أوَ تدري من أين جاءه الفشل ؟

التلميذ : من أين لي أن أعلم !.

الشيخ : لقد وَقرَ في صدر ذلك الشيخ رحمه الله استحالة الارتفاع عن الأرض ، فلما جاء يفسر الآية نظر إليها من خلال فكرته هذه.. فإذا هو ينزلق إلى تلك الأخطاء ! ولو تدبّر أسلوب الآية لجنب نفسه وجنب الناس معه هذا الالتواء ..

التلميذ : ما أرى الشيخ إلا مأخوذاً بكلمة « لا تنفذون .. » !

الشيخ : ولكن كان عليه أن ينظر إلى قيد النفي بالسلطان .. ومن معاني السلطان القوة والعلم والحجة .. فبوجود السلطان يزول النفيُ ويحل الإمكان !.

التلميذ : معقول ..

الشيخ : ثم إن الشيخ قد غفل عن كون التحـــدي منصباً على الخروج من مجموع أقطار السموات والأرض، والارتفاع بالطيران الصناعي لا يُخرج الانسانَ من قطر الأرض ، وإذا أمكنه ذلك في المستقبل فسيدخلـُــه في قُطر السماء ، وليس في هذا وذاك دليل على استحالة الطيران ولا ما وراء الطيران .

التلميذ : رفعتَ عن صـــدري حرَجاً ثقيلاً ، فجزاك الله عني كل خير ..

الشيخ : بل قل الحمد لله الذي هدانا لهذا ..

التلميذ : (ومع الشيخ) وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله ..

وبهت الذي كفر

المقرىء يتلو من سورة (الواقعة) : « أفرأيتم ما تُمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون !. نحن قدّرنا بينكم الموتَ وما نحن بمسبوقين . على أن نبدّل أمثالكم ونُنشئكم في ما لا تَعلمون . ولقد علمتم النّشأة الأولى فلولا تذَكّرون ! أفرأيتم ما تحرثون !. أأنتم تَزرعونه أم نحن الزارعون !. لو نشاءُ لجعلناه حُطاماً فظَلْتُمْ تفكّهون: إنّا لمُغرمون. بل نحن محرومون ! أفرأيتم الماءَ الذي تَشربون ؟ أأنتم أنزلتموُه من المُزنِ أم نحن المُنزِلون ! لو نَشاءُ جَعلناه أُجاجاً فلولا تشكرون ! أفرأيتم النار التي تُورون ؟. أأنتم أنشأتم شجرتَها أم نحن المُنشئُون !. نحن جعلناها تذكرةً ومتاعاً للمُقْوين . فسبّحْ باسمِ ربك العظيم » .

الشيخ والتلميذ : سبحان ربنا العظيم ، سبحان ربنا العظيم ..

الشيخ : (يرسل ضحكة خفيفة) آه .. آه ..

التلميذ : عودتَني أن أراك أمام القرآن باكياً لا ضاحكاً ..

الشيخ : ليس الضحك يا بني دائماً ضد البكاء ، بل ربما يكون أحدهما متولداً من الآخر ..

التلميذ : إذن فهل نسمي ضحكك هذا بكاء .. أو وليد بكاءٍ ؟

الشيخ : لا يحق لك إعطاؤه أيَّ اسم حتى تعرف بواعثَه ..

التلميذ : وأنّى لي أن أعرف إن لم تعرّفني !.

الشيخ : الحق بيدك .. فاعلم إذن أن الآيات قد أيقظتْ بقلبي ذكرى حادثة لم أستوعب عبرتها قبل الإلمام بهذه المعاني الإلهية ..

التلميذ : لعلها مضحكة !

الشيخ : كلا ، بل مبكية إلى حد الإضحاك ..

التلميذ : عجيب !.

الشيخ : لا تعجب قبل أن تسمع .

التلميذ : كلي مسامع أيها المعلم الكريم .

الشيخ : تعلم أني قضيت شطراً من حيـــاتي مدرساً ثانوياً قبل وفودي إلى هذه الديار المقدسة .

التلميذ : لا أجهل هذا ..

الشيخ : ذات يوم دخلت الفصل فإذا على السبورة بالقلم العريض الأنيق : ما الدليل على وجود الله ؟!

التلميذ : يا للجهالة !.

الشيخ : وبمثل كلمتك هذه استقبلت عبارة السبورة ، فإذا أحد

الطلاب ينهض ليقول : هذا سؤال نريد جوابه ، لنقنع به استاذ الرياضيات ، الذي سبقت حصته ، فقضاها كلها في محاولة التوكيد على نفي وجود الله.. وأن كل ما ينسب إليه من الدين ليس إلا ضرباً من المخدرات !.

التلميذ : أعوذ بالله !.

الشيخ : وهنا وقفت متردداً بين أن أمضي في دروسي ، أو أجيب على سؤال السبورة !.

التلميذ : أرجو أن تكون آثرت الإجابة .. لإنقاذ الطلاب من شرّ ذلك الضلال .

الشيخ : وكذلك فعلت ..

التلميذ : وماذا قلت لهم ؟.

الشيخ : لقد بنيت هذا الجواب على هذه الآيات العظيمة من سورة الواقعة ، فعرضت لذكر النطفة ، وتطورها في الرحم ، حتى تنتهي إلى التخلق بالصورة التي أرادها الخالق ، ثم ذكرت أن واهب الحياة هو الذي حدد نهايتها بالموت ، وأن في قدرته سبحانه أن يغير سحنات البشر ، ويعطيهم من الهيئات ما لا يخطر على بالهم ، والتفكير بأسرار التكوين الأول منته حتماً بالعقل السليم إلى الإيمان بالنشأة الأخرى ..

التلميذ : بل هي أهون عليه ..

الشيخ : ثم لفتُّ نظرهم إلى ما حولهم من غذاء وماء ومادة

للوقود .. وما انطوى عليه كل واحـد منها من أسرار ناطقة بعظمة المبدع وحكمته ورعايته لأبناء البشر ، بل لكل مخلوق على السواء ..

التلميذ : لو تكرمت ببيانٍ لبعض هذه الأسرار .

الشيخ : خذ من ذلك موضوع الحرث والزرع ، حيث نسب الله الحرث لعمل الناس ، وأضاف الزرع لنفسه ..

التلميذ : حقاً .. حقاً .. فما المراد من هذا التفريق ؟

الشيخ : يا بني .. إن الفلاح يشق الأرض ويبذر الحَبّ ، وقـد يجري عليه الماء والسماد . وكل ما يتطلبه فن الحرث من عمل ، ولكن هذا كله لا يكفي لبعث الحياة في جماد !.

التلميذ : لا أكاد أفهم ما تقوله ..

الشيخ : ألا ترى يا بني لو أن الحرّاث جعل مكان الحبة حصاة ، أكان لها أن تتفاعل فتنمو وتتفرع وتتوالد !.

التلميذ : طبعاً لا .. ولكن ..

الشيخ : ولكن.. ليس في الحصاة قابلية للنماء والتفاعل ، أليس هذا الذي تريد ؟.

التلميذ : بالضبط ..

الشيخ : وأنا أقول لك : إن الحبة والحصاة والخلية الحيوانية .. وكل ما نراه في هذا الكون، قد تألف جميعه من عناصر متشابهة ومحدودة . ومع ذلك فقد اختلفت أشكاله

وألوانه وخواصه ، حتى كان لكل منها مكان لا يسد اختلاله مكان أخيه .. فمن الذي أودع كلاً ميزاته فكان بعضها ينمو ، وبعضها يرسب ، وبعضها يطفو ، وبعضها يجذب ، وبعضها ينجذب .. إلى ما هنالك من خواص لا تقع تحت حصر !.

التلميذ : تبارك الذي خلق كل شيء فقدّره تقديراً !.

الشيخ : ومع ذلك فإن هذا المدرس المسكين لا يتورع أن يزعم لطلابه أن هذا كله جاء بمحض الصدفة !

التلميذ : حقاً إنه لمسكين ، ولكن .. ألا تسمح أن أعيد لك تفسير ما يزعمه أمثاله لهذه الظاهرة !

الشيخ : لا حاجة للإستئذان ..

التلميذ : إنهم يردون كل شيء .. إلى عمل الطبيعة ..

الشيخ : وهذا ما قاله ذلك المدرس لطلابه ..

التلميذ : وماذا قلت لهم أنت في تفنيد هذا الزعم ؟

الشيخ : قلت لهم : إن الطبيعة هي هذا التراب الذي نطأه والهواء الذي نتنفس ، والماء الذي نشرب والنار التي نوري .. فلماذا عجزت اليوم عن إحداث بعض هذه العجائب .. بعد أن أحدثتها جميعها في عهد غابر !

التلميذ : نعم ، نعم !.

الشيخ : ثم إن القاعدة المألوفة هي أن كل صانع أرقى من

مصنوعاته ، فالبيت من الشعر الجيد إنمـا يُنبىء عن الموهبة في قلب ناظمه ، والتلفزيون ، بما فيه من الأجهزة المعقدة ، وما تعتمد عليه هـذه التعقيدات من تفهم للقوانين الكونية، إنما يثبت سمو المكانة الفكرية لمنظمه العبقري .. وبتعبير أخير : إن كلاً من الإنسانين، ناظم الشعر ، وصانع التلفزيون ، فوق مستوى مصنوعاته من حيث الذكاء والقيمة ..

التلميذ : هذا حق لا مرية فيه ..

الشيخ : لذلك نسأل : هل كان التراب والماء والهواء والنار، وما يتصل بهما من العناصر الأساسية ، أرقى في مجـال التفكير والتدبير من الإنسان !.

التلميذ : هذا لغو لا يقول به عاقل، لأن فاقد الشيء لا يعطيه !

الشيخ : ولكن هذا اللغو يصبح عند أصحابه فلسفة ، تقرر أن الإنسان الحي الموهوب ذا الخيال العجيب ، والفكر الحصيف ، هو من صنع هـذه العناصر .. المصنوعة لخدمته، والمسخرة لخبرته، كما أسلفنا في حديث سابق !

التلميذ : ذلك ظن الذين كفروا.. فويل للذين كفروا من النار..

الشيخ : وكاد ينتهي الجواب عند هـذا الحد .. لولا أن طالباً استأذن ليقول : لا يستطيع العقل أن يرفضَ كلمة مما قلت، فالله هو خالق الطبيعة والإنسان وكل شيء .. ولكن .. أليس لنا أن نسأل من خلق الله !.

التلميذ : يا للغباء !.

الشيخ : بل قل يا لِلَّغْو !. لقد جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هــذا خَلْقُ الله ، فمن خلق الله ؟. فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله ورسُله ..)

التلميذ : آمنت بالله ورسله ..

الشيخ : والحكمة في هذا التوجيه النبوي يا بني هي أن نصون عقولنا ، فلا نستهلكها في لغو لا طائل من ورائه ..

التلميذ : ومع ذلك لا بــد من تعليل مقنع يدمَغ زيغ المفسدين الذين كثيراً ما يواجهوننا بمثل هذا السؤال .

الشيخ : قل لهم : لكل نبأ مستقر .. ولكل مستقر نهاية .. وغاية الغايات من تطلع العقل البشري ، هي معرفة الله أولاً وآخراً ، والتزام حبه ومرضاته ، فإذا انتهى العقل إلى هذه الحقيقة لم يجد حاجة إلى البحث عن ضدهــا ، لأن كل شيء ما خلا الله باطل ..

التلميذ : أنا أحب أن أعلم جوابك الحرفي لذلك الطالب ..

الشيخ : أقمت جوابي له على أساس من الرياضيــات ، لأن الطالب نفسه من قسم الرياضيات ..

التلميذ : وكيف ؟

الشيخ : قلت له : حدّد لي الأرقام التي تستعملها في أعمــالك

الحسابية كلها .. وبعد لأي جاء الجواب الطبيعي وهو أنها لا تتجاوز الرقم التاسع ، إذ كل ما علاها أو انحط عنها فهو مؤلف منها ..

التلميذ : حتى الآن .. كل شيء يبدو مفهوماً .

الشيخ : وهنا سألته : من أي شيء يتألف الرقم تسعة ؟ فقال: من الواحد مكرراً تسع مرات .. قلت : فأصل الجميع إذن هو الواحد ، ثم لا شيء وراء الواحد ..

التلميذ : (مردداً على نفسه) : ثم لا شيء وراء الواحد !. لقد ذكرني استنتاجك هذا بكلمة ذلك الفلاح الروسي ، إذ كان يصغي مع رفاقه إلى أحد دعاة الإلحاد يقول لهم : لا شيء خارج حدود المادة ، فمن المادة صنعنا الآلة ، وبالمادة نصنع كل شيء.. وهذا يعني أن الله والدين وما وراء الطبيعة أوهام نسجها الإقطاعيون لحماية منافعهم ! وسرعان ما بادره ذلك الفلاح بقوله : إذن فحدثني : من صنع الآلة التي أدس في مقدمتها الحشيش ، فتعطيني من مؤخرتها اللبن والزبدة ؟!..

الشيخ : وبالطبع لقد بُهِت الذي كفر ..

التلميذ : كما بهت الطالب الذي سألك . مَن خلق الله ؟

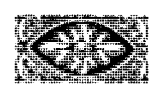
الشيخ : ولقد استهلك بحثنـــا مع الطلاب يومئذ مجموع حصة البلاغة ..

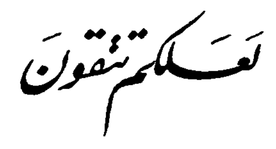
التلميذ : وأي بلاغة أنفع من هذه التخريجات الرائعة ؟

الشيخ : إذن فدعني أسألك : هل عذرتني في ما رأيت من ضحكي في مطلع هذه الجلسة !

التلميذ : وتعلمت حقيقة جديدة .. هي أن أولئك الملاحدة أحق الناس بأن نبكي عليهم ..

الشيخ : ونضحكَ منهم !





صوت المقرىء يتلو : « يا أيها الذين آمنوا . كُتِبَ عليكم الصيـــام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتّقون . أياماً معدودات ، فمن كان مريضاً أو على سفر فعِـدّة من أيام أُخر . وعلى الذين يطيقونه فِدية طعام مسكين ، فمن تطوّع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

الشيخ : ربنا آمنا بمـــا أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ..

التلميذ : جزاك الله عني خيراً أيها الشيخ الفاضل . لقد كان لحديثك عن الصوم أثره العميق في قلبي وعقـــلي ، إذ جعلني أستقبل رمضان المبارك بروح من الوعي لم أكن أعهده من قبل ، فما أن انقضى حتى انقضى معه الكثير من عوامل الضعف والأمراض النفسية التي طالما عانيتها من قبل !

الشيخ : لا غرابة في ذلك يا بني .. فرمضان مدرسة روحية ،

غايتها المنهجية تصحيح الكيان النفسي للصائم من كل وجه ، وهذا ما يشير إليه رسول الله ﷺ بقوله : (صوموا تصحوا) ..

التلميذ : وقد جربت هذه الحقيقة بنفسي ، فأنا أخرج من الصوم في غبطة لا أجد لها وصفاً أكمل من قوله ﷺ : (للصائم فرحتان.. فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه).

الشيخ : لقد نعمتَ بفرحة الفطر يا بني ، وأرجو أن تنعم بفرحة اللقاء ، يوم لا ينفع مال ولا بنون .. إلا مَن أتى الله بقلب سليم ..

التلميذ : هذه الآية من كتاب الله كثيراً ما تلوتها وسمعتُها ، فما كنت لأدرك مدلولها المحيي حتى أكرمني الله بتحليلك وإيضاحك، فإذا أنا أفهم منها ما لم يتهيأ لي من قبل ..

الشيخ : هذه فتوح لا يهبها الله إلا لذوي القلوب الحية التي أحبته وانفتحت لهدايته ، فهي تستقبل من كتابه كل يوم ، بل كل لحظة ، جديداً من المعرفة لم يكن في حسبانها !.

التلميذ : ولعل هذا من معنى قوله تعالى : « ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه .. »

الشيخ : وهذا أيضاً من الفتوح الربانية ..

التلميذ : أرجو أن أكون لها أهلاً ..

الشيخ : وإنك لكذلك بفضل الله ، ما دمت مقبلاً على الله

بقلبك وعقلك .. وما دمت تتعلم الحكمة من كتاب الله فتبذل جهدك لتحقيق معانيها في نفسك وسلوكك ..

التلميذ : إنني لأحاول ذلك جاهداً .. ولكن أين أنا مِن تلك الغاية التي يقصر دونها عزمي وعلمي !.

الشيخ : ليس عليك إلا المداومة على عملك هذا .. وعليك أن تتذكر ما حييت قول ربك العظيم « إنا لا نضيع أجرَ من أحسن عملا » .. وقول رسوله الكريم : (أحب الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلّ) ..

التلميذ : حقاً إن مداومةَ العمل في طاعة الله هي سبيل الاحتفاظ بصحة الروح ..

الشيخ : إني لأعلم ناساً يا بني أخذوا من رمضان كلَّ ما فيه من الجوع والظمأ ، ولكنهم لم ينالوا شيئاً من ثمراته الروحية ، فما إن طالعهم العيدُ بإشراقتِه حتى نسوا ما كانوا فيه ، وأقبلوا على الذنوب ، يدفنون في غِمارِها كل خير ، كان عليهم أن يحتفظوا به من مدرسة رمضان !.

التلميذ : هؤلاء لم يفهموا معنى قوله تعالى في تعليل حكمة الصوم : « لعلكم تتقون » ..

الشيخ : وأنّى لهم أن يُدركوا ذلك !. إن الموضوع هنا ليس موضوع فهمٍ منعزل عن السلوك ، بل هو موضوع عمل يتخذ من الإشاراتِ القرآنية وسيلةً إلى التحققِ

بمدلولاتها العليا .

التلميذ : هنا نقطة لا تزال غامضة بالنسبة إليّ . لو تكرمت بتبيانها .

الشيخ : ألا ترى يا بنيّ أن تذييل آية الصوم بقوله تعالى « لعلكم تتقون » ينطوي على أكثر من معنى الفهم والعلم !. فهو لم يقل هنا : « لعلكم تعقلون » كما فعل في آية أخرى .. لأنه جعل التقوى نتيجةً عمليــة ومباشرة للصوم ، إذا جاء به الصائم على الوجه الأكمل .

التلميذ : مزيداً من الإيضاح يا شيخي الفضل .

الشيخ : تذكر يا بني أن للتقوى علاقة بالوقاية ، لأنهما من اشتقاق لغوي واحد .

التلميذ : لا خلاف على ذلك .

الشيخ : فكما أن الوقايةَ ضروريةٌ للإنسانِ تجــاه كل خطر يهدده ، كذلك هي التقوى .. درعاً تصون صاحبَها من كل ما يحول بينه وبين السعادة الحقة في دنياه وآخرته .

التلميذ : حقيقة لا أشك فيها .

الشيخ : وأنت تقرأ في الحديث الصحيح قول رسول الله ﷺ : «الصومُ جُنّةٌ . فإذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يَرفَـثْ ولا يفسُقْ ، وإن سابّهُ أحــدٌ أو شاتمه فليقل : إني صائم .. إني صائم » . فماذا تفهم منه !

التلميذ : أفهم منه ما أوضحته لي من قبل : إن الجُنّةَ هي كل ما يستر الإنسانَ من شيء .

الشيخ : فالصوم إذن في الحديث الشريف ستر يحجز صاحبَه عن الإستجابة لدوافع الشهوة الحمقاء ، من الرَفثِ والفسوقِ وردّ الإساءة بمثلِها ..

التلميذ ، تماماً ..

الشيخ : فحاول الآن أن تفهم أيضاً ايّ مستوىً من الخير يستطيع ان يبلغَه ذلك الصائم ، الذي حصّن نفسه من كل هذه السيئات طوال شهر رمضان !.

التلميذ : أقلُّ ما يناله من ذلك تدريبُ نفسه على الصبر والحلمِ حتى يصيرا لها خُلقاً ومَلَكَةً .

الشيخ : يسرني اختيارُك هنا لكلمتي الصبر والحلم لأنه متجاوب مع وصف رسول الله ﷺ للصوم أيضاً بأنه « نصف الصبر » .

التلميذ : يؤكد هذه الحقيقة قوله الآخر ﷺ (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامه وشرابه » ..

الشيخ : فالصوم إذن يا بني لا يقف عند حدود الإمساك عن الطعام والشراب ، بل يتناول حبس النفس عن كل رذيلة من شأنها أن تحولَ بين الإنسان والمكانة التي رشحه الله لتبوئها ..

التلميذ : كشأن كل عبادة في الإسلام .

الشيخ : وبهذا تعلم لماذا عجز أولئك الحمقى عن الاستمرار في فضائل رمضان .

التلميذ : نعم !.

الشيخ : إنهم لم يمارسوا من رمضان سوى الجانب الحسي وحده، لذلك لم يترك فيهم من أثر سوى الشعور بالحرمان ، وإثارة السعار إلى الرغبات التي منعها الصوم !.

التلميذ : نتيجة منطقية .

الشيخ : وهكذا تحقق فيهم وصفُ رسول الله ﷺ لأمثالهم « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ .. »[1] .

التلميذ : لقد قرّبت عقلي أيها الشيخ من معنى ذلك التذييل الإلهي في قوله تعالى « لعلكم تتقون » .. ولكن ..

الشيخ : ولكن .. بقي عليك أن تتصور يا بني أن صوماً يكفُّ النفس عن شهواتها المادية ، ويُدرِّبها على التصعيد إلى ما فوق حيوانيتها مدى شهر كامل ، من حقه أن يفجّر في أعماقها مشاعر الخير ، ومراقبة الخالق ، حتى تكون جديرة بتمثيل تلك النفحة القدسية ، التي أكرم الله بها هذا الجنس البشري ، فجعله أهلاً لسجود ملائكته ،

---

(١) رواه الدارمي في « الرقاق » وفي باب « تنزيه الصوم من مشكاة المصابيح » .

وللتشرف بتحقيق رسالته ..

التلميذ : حقاً .. أن تصوراً كهذا لجديرٌ بأن يقود العقل السليم إلى استشراف المضمونِ الحكيم ، لقول الحكيم العليم « يا أيها الذين آمنوا .. كُتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم .. لعلكم تتقون .. »

الشيخ : « اللهم اجعلنا من عبادك المتقين ..

التلميذ : آمين .. آمين .. يا رب العالمين ..

مجلس الله

المقرىء يتلو : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « في بُيوتٍ أذِنَ اللهُ أن تُرفعَ ويُذكر فيها اسمُه ، يُسبّحُ له فيها بالغدوِّ والآصالِ رجال ، لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ اللهِ وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلبُ فيه القلوب والأبصار . . »

الشيخ : اللهم اجعلنا من هؤلاء الذين أكرمتهم بهذا الثناء .
التلميذ : آمين . وما أراك إلا واحداً منهم يا شيخي الكريم . .

الشيخ : هيهات يا بني . . هيهات ! .
التلميذ : هذا شأن الراغبين في الكمال ، لا يرضيهم من عملهم شيء ، مهما يبلغ من السمو في أعين الآخرين .

الشيخ : اللهم اغفر لي ما يجهلون ، واجعلني خيراً مما يظنون .
التلميذ ، غفر الله لك ، وأعلى مقامك . . فهل لك أن تتفضل عليّ

اليوم بحديثٍ حول هؤلاء الرجال .. الذين يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار .

الشيخ : تسألني عنهم وأنت منهم !.

التلميذ : أنا !.

الشيخ : ألم تقضِ شهر الصوم عاكفاً في بيت الله ، مقطوعاً عن عالم الناس ، لا شغل لك إلا ذكر الله ، وإقامَ الصلاة ، وقراءة الذكر الحكيم !.

التلميذ : قد فعلت ذلك .. ولكن الفضل فيه لك ، إذ أبيتَ إلا أن أكون صاحبك في هذه الرحلة ، ليكون تعليمك مقروناً بالعمل .. ومع ذلك ..

الشيخ : ومع ذلك لا تعلم حظك من القبول عند الله !. هذا صحيح ، وليس هذا من شأنك ، فحسب العبد أن يبذل جهده في طاعة سيده ، ثم يدع الأمر لحكمته .. ولثقته برحمته ..

التلميذ : ولهذا فأنا أتطلع إلى مثل الذي عودتنيه من تحليل لهذه الإشارات الربانية ..

الشيخ : وهذه أيضاً معان عملية ، أشدُّ الناس إدراكاً لها هم الذين يمارسونها .. فاسأل نفسك اولاً : ما الآثار التي جنيتها من تلك التي أسميتها رحلة ؟!..

التلميذ : أود لو تُعفيني من الإجابة على هذا السؤال .

الشيخ : ولماذا ؟

التلميذ : لأني لا أزال في هـذا المضمار قصيرَ التجربة ، ضعيفَ البيان .. إنني لا أزال تلميذاً يا فضيلة الشيخ !.

الشيخ : وكم من تلميذ خيرٌ من معلمه !. وربَّ خير أدلـك عليه لا أستطيع وصولاً إليه ..

التلميذ : لكم سألتك ونحن في رحلة الاعتكاف أن تُطرفني بحديث روحي عنها ، فكنت ترجىء الجواب إلى وقت آخر .. وإني لأخشى أن تظلَّ على إرجائك فـلا يأتي ذلك الوقت الآخر ، ويفوتني الخير الذي أرجو .

الشيخ : لو فكرت بجوابي ذلك في حينه لعلمت أني أحب لك أن تستشرف بنفسك هذه المعـاني الروحية ، عن طريق ممارستك الذاتيةِ لها ..

التلميذ : ولكني مع الأسف لم أوفق إلى ذلك الخير ..

الشيخ : بل حققتَ أكثره بفضل الله .. وإن لهفتك إلى المعرفة لإحدى ثمرات هذا التحقيق ..

التلميذ : أو تتركُ هذه اللهفة دون إرواء !.

الشيخ : ما هذا أُريد .. إنما أردت إشعارك بأنك اليوم أكبرُ استعداداً لفهم هذه الحقائق التي تعرضها الآية الكريمة .

التلميذ : فلنجرب إذن ، ضاعفَ الله أجرَك ..

الشيخ : بل لنحاولْ .. ولنبدأ من كلمةِ ابن خلدون التي ما أظنك نسيتها .

التلميذ : أليست هي قوله « الإنسانُ ابن بيئتِه » ؟

الشيخ : إنها هي .. وقد علمتَ أن من معاني ذلك اصطباغ الفردِ بلون الوسط الذي يعايشه .. سواء عن طريق المصاحبة الشخصية أو الفكرية ..

التلميذ : هذا صحيح .. فنحن نتأثر بالاستاذ ، والصديق والكتاب ، والجوّ ، وألوانِ الطعام ، والكساء ، ونوع الحياة .. كلٌّ أولئك يترك في نفوسنا انطباعاتِه العميقة ، التي يتعذر علينا التحررُ منها ..

الشيخ : حقاً .. يتعذر ولكن لا تنس أنه غير مستحيل إذا كان لدينا الحصانة العقلية التي تحسن النقد والإصطفاء ..

التلميذ : حسناً لن أنسى هذه الحقيقة ..

الشيخ : على ضوء هذه السنن النفسية تستطيع إدراك الكثير من معاني الآية التي تشغَلُك ..

التلميذ : لا ألمح أية صلة بين هذا ومضمونِ الآية ..

الشيخ : ستتضح لك الرؤيةُ عندما تقارن بين إنسان يألف جوَّ المقاهي ، وما فيها من لغو وعبث وفضول وثرثرة لا خير فيها ، سوى تبديد ساعاتِ العمر في غير مردودٍ

مفيد ، وإنسانٍ آخر أخـــذ نفسه بملازمة المساجد ، فقلبُـه معلق بها ، لا يطمئن إلا حين يعود إليها ..

التلميذ : الفرق بينهما بعيدٌ ساحق ..

الشيخ : طبعاً لأن الأول مخلوقٌ يعيش حياتــه بروح المقهى ، فصلتُه بأهله وبالناس صورةٌ مجسمة من صلته برفاقِ ذلك الجو العابث المختال ..

التلميذ : حقيقة ملموسة .

الشيخ : وأما الآخر فإنسان يعامل أهله ومجتمعه بروحِ المسجد الذي عوّده الهدوءَ والوَقـــار ، وخفض الصوت ، واستحضار جلال الله من خلال كتابه ، وأثنـــاء مناجاته ، والرفقَ بإخوانــه من المسلمين ، واستشعار حقهم عليه ، وواجبه بإزائهم ..

التلميذ : زدني زادك الله من فضله ..

الشيخ : ذلك يا بنيّ أثرُ الاعتكاف الجزئي في حيـــاة روّادِ المساجد .. وأُسميه جزئياً لأنه وليـــدُ تردُّدٍ مقيَّد بأوقات الصلوات الخمس ، وهي بمجموعها لا تتجـاوز الساعة الواحدة خلالَ اليوم والليلة ..

التلميذ : الآن بدأت أدركُ اهتمام الشارع بالتوكيد على صلاة الجماعة .

الشيخ : أضف إلى ذلك حقيقة أخرى لا مندوحةعن تذكرها..

تلك هي سلطة الدنيا على مشاعر الإنسان .. فهو أبداً في عراكٍ لا ينتهي من طلب الحاجــات ، ومطاردة الرغبات ، واصطياد المناسبات ، وما يجره هذا العراك من خصومات وهيجانات ، تجعل الأعصــاب في توتر لا خلاص منه !.

التلميذ : تلك والله هي الدنيا !.

الشيخ : وإنما يتفاوت أثرها قوة وضعفاً بمقدار تحرر الإنسان من ضغط هذه الحاجات ، أو خضوعه لها !

التلميذ : وهذا يعني أن في التردد على المساجد خير علاجٍ لذلك التوتر العصبي .. لأنــه ينتشل الإنسان خمس مراتٍ من جوّ المعركة إلى واحة الاستجمام الروحي، الذي يُريحه من الركض وراء الدنيا ..

الشيخ : ألم أقل إنك اليوم أكثر استعداداً لِتمثُّلِ الحقائق !

التلميذ : أرجو أن أكون كذلك ..

الشيخ : إذا كان هــذا أثر الإعتكاف الجزئي ، فلم يعد عسيراً عليك أن تتصور آثاره عندمــا يكون اعتكافاً كلياً ، يستغرق الشهر كله ، أو ثلثه الأخير !.

التلميذ : لا شك أنه سيكون مضاعف البركات ، لأن نتائجه في تصاعد .

الشيخ : وهكذا يصبح هذا الاعتكاف هجرةً ينقي صاحبهــا

من أوضار الدنيا ، ليفرغ إلى جهاد من نوع جديد ..

التلميذ : إنه جهاد النفس ..

الشيخ : أجل .. جهـــاد ليس فيه ركض وراء الشهوات والخصومات ، ولكن فيه تحرر المعتكف من سلطانها جميعاً ..

التلميذ : ما أروعها حرية !

الشيخ : إن المعتكف يحصر همه في تلاوة كتـاب الله ، ومحاولة تدبره في هـــدوء وتعمقٍ لا يُتاحان له في غير هذه المناسبة .. ثم في صلاة لا تنتهي حتى تبدأ ، مستغرقة معظم ساعات الليل والنهار ..

التلميذ : يطيب لي أن أسمي هذا الاعتكاف صياماً عن شهوات الدنيا .

الشيخ : وإنه لكذلك يا بني .. ولكنه صيام من نوع عجيب ، فهو من ناحية حرمانٌ من المتاع الحسي ، ومن ناحيـة أخرى إغناءٌ من الغذاء الروحي ، الذي يشحن القلب بطاقات تمكنه من الصمود أمام مختلف المغريات .

التلميذ : إنها والله إذن لثروة لا كفاء لها ..

الشيخ : أجل .. يا بني .. لا كفاء لها .. وأي ثروة في الأرض تعدِل ساعة في مصاحبة الله !.

التلميذ : مصاحبة الله !!..

الشيخ : بلى .. أيها الفتى. ألم تسمع كلمة ذلك المعتكف الصالح، وقد قيل له: « ألا تستوحش من عزلتِك؟!.. فأجاب: كيف يستوحش مَن كان جليس الله !!.. »

التلميذ : جليس الله !!..

الشيخ : وقد فسر المعتكف ذلك بقوله: « إذا شئتُ أن أخاطب ربي صليت له، وإذا شئت أن يخاطبني قرأت كتابه .. »

التلميذ : واأسفاه !. ليتني أدركت هذه المعانيَ أثنـــاء فترة الإعتكاف !!..

الشيخ : لا تأسفْ يا بني .. لقـــد حقق الله لك الكثير منها بفضلِه ...

ليلة القدر

صوت المقرىء يتلو : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « بسم الله الرحمن الرحيم » (.. إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلةُ القدر، ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهر، تَنزَّلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذنِ ربهم من كل أمر. سلامٌ هي حتى مطلعِ الفجر).

الشيخ : اللهم هب لنا نفحة من هذا السلام .

التلميذ : آمين .. يا من هو السلام .

الشيخ : (في خشوع) « ليلةُ القدر .. وما أدراك ما ليلةُ القدر !.. وما أدراك ما ليلةُ القدر !!.. »

التلميذ : بي مثل ما بك أيها الشيخ من دهشة وانجذاب بهذا التركيب المؤثر .. ولكن ..

الشيخ : ماذا ؟!..

التلميذ : ليت لي بعض إدراكك لهذه المعاني الإلهية ؟!..

الشيخ : ما عليك إلا أن تندمج في جو الآيات حتى تتذوّق ما يفوتك من أسرارها ..

التلميذ : لو ترشدني إلى طريقة الإندماج هذه .. فأنا ما زلت أبحث عنها ..

الشيخ : بحثك عنها هو منها .. والحق أنني غير قادرٍ على إعطائك تحديداً دقيقاً لها، غير أني أذكـّرك بكلمة ذلك الأب الصالح الذي قال لولده ..

التلميذ : أو الشيخ الصالح ..

الشيخ : قال لولده وهو يعلمه خير الطرق لاستماع القرآن: «عليك أن تتلقاه يا ولدي وكأن جبريل يتنزل به على قلبك » .

التلميذ : هذا كلام من غير لغتنا نحن التلاميذ !.

الشيخ : ألم أقل لك: «ربّ تلميذ خير من معلمه !.» وإني لأتوقع لك أن تصبح قريباً ذلك التلميذَ كله .

التلميذ : هيهات !.

الشيخ : أيها الفتى حاول أن تستشف جمال هذه الليلة التي يصفُها خالقها بأنها خيرٌ من ألف شهر ..

التلميذ : يخيل إليّ أنني أحس روعتها.. ولكن لا أجد في بياني قدرة على استيعاب هذا الإحساس ..

الشيخ : هذه باكورة طيبة .. الإحساس بالجمال نصف الطريق إلى إدراكه ..

التلميذ : أحسُّ في هذه الكلمات القليلة التي تتألف منها السورة عالماً زاخراً بالمشاهد الغريبة ..

الشيخ : أجلْ .. مشاهد تميز ليلةَ القدر بما يجعلها تَفْضُل ألفَ شهر !. ألست ترى الملائكة وعلى رأسهم جبريل روح القدس يتنزلون بإذن الله من الملأ الأعلى ؟. فلماذا كلُّ ذلك ؟!..

التلميذ : لا بد أن هناك أمراً عظيماً .. عظيماً إلى حد أنه اقتضى أن يفيض الكون كله بروح السلام حتى مطلعِ الفجر .

الشيخ : فما هو ذلك الأمر العظيم !!.. هل علمت ما هو ؟!..

التلميذ : إنه نزول القرآن !

الشيخ : إنه مفتتح العهد الجديد في حياة الجنس البشري .. عهد الرشد والحرية واستكمال الشخصية الإنسانية ، أجل إنه نزول القرآن ..

التلميذ : وحُقَّ لليلة نزل فيها القرآن أن تكون مباركة .. وأن تكون سلاماً عاماً لكل حي .. ولكن ..

الشيخ : ولكن .. ماذا ..

التلميذ : لِمَ تركها الله بغير تحديد ميعاد ؟. فنحن لا ندري في أي الزمان هي ليلة القدر !.

الشيخ : إنها في رمضان .. أنسيت قول الله عز وجل : « شهر

رمضان الذي أُنزلَ فيه القرآنُ هدىً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان .. » !

التلميذ : أعلمُ أن الشهر هو رمضان .. غير أني أجهل أيّ لياليه هي !. وقد رجعت إلى الأخبار النبوية فبدا لي أن رسول الله ﷺ نفسه مثلنا في عدم إدراك موعدها من الشهر ..

الشيخ : إنْ هو -ﷺ- إلا بشرٌ يُوحى إليه ، فإذا لم يأته العلم من ربه لم يختلف عنا في شيء من أمر الغيب .

التلميذ : لا شك .. غير أن هذا لا يمنعني أن أظل على تساؤلي : لماذا تركها الله بغير تحديد !؟

الشيخ : لكيلا يكتفيَ أمثالك بقيام تلك الليلة ، فيعمدوا إلى الاستسلام للكسل بقية ليالي رمضان !

التلميذ : إمْ . م .. فذاك إذن ؟!..

الشيخ : ألا تراه معقولاً !

التلميذ : نعم .. نعم ..

الشيخ : ومع ذلك فقد ثبت عنه ﷺ فيما رواه البخاري عن عائشة أنه قال : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

التلميذ : فهي إذن في الحادي والعشرين ، أو الثالث والعشرين ، أو الخامس والعشرين ، أو السابع والعشرين ، أو التاسع والعشرين من رمضان ؟.

الشيخ : ذلك ما يتبادر إلى الذهن من الحديث .. ولكن الذي يتكلفُ قيامَ هذه الأوتارِ لا يلذ له النوم فيما بينهما ، أذ سيبدأ في تعرف جلال القيام ، وتذوق ناشئة الليل ...

التلميذ: إن ناشئةَ الليل هي أشدُّ وطأً وأقومُ قيلا ..

الشيخ : صدق ربنا العظيم ، ولذلك أدَّبَ نبيه بأدب القيام ، وحضه على الإكثـــار منه ما وسعه الجهد ، ليرفع طاقته الى الأوج ، فتصلح بذلك للنهوض بأعباء الرسالة العظمى ..

التلميذ: (في تأمل خاشع) « يا أيها المزَّمِّل .. قُمِ الليلَ الا قليلا . نصفَه او انقُصْ منه قليـــلا . او زِدْ عليه ورتلِ القرآنَ ترتيلا. إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلا » ..

الشيخ : إنه يا بني القول الذي سيغير به تاريخَ الانسان .. بـل تاريخَ الحياة .. وهي مهمة لا بد أن يَسبقَها الإعدادُ المناسب ..

التلميذ : حقاً حقاً ..

الشيخ : ولذلك لازم رسولُ الله ﷺ الاعتكافَ مدةَ العشرِ الأواخرِ من رمضان .. وفي عامه الأخير إعتكف عشرين يوماً .

التلميذ : من هنا يتضح أن قيامَ الرسولِ ﷺ لم يَعُدْ مرتبطاً بالإعداد للتبليغ، بعد أن استتب الأمرُ للإسلام،ودخل

الناس في دين الله أفواجا ..

الشيخ : هو كذلك ... إذ بات لهذا القيام صفتُه التي لا تنتهي ، وهي تعَهُّدُ النفسِ بالغـذاء الروحي ، الذي يَحْفَظُ عليها طاقاتها العالية ، وأشواقها السامية ..

التلميذ : إذن فالقيامُ يحقق غايته سواء في رمضان او سواه !..

الشيخ : بالتأكيد .. بدليل أنه ﷺ لم ينقطع عن القيام قط لا في رمضان ولا غيرِه .. وقد حضّ المؤمنين على مثـل ذلك ؛ إذ عرفهم أن أفضل الأعمـال ان ينهض المؤمن للصلاة والناس نيام ..

التلميذ: لا أنسى كلامَه في هذا ..

الشيخ : ولكنه مع ذلك كان أشدَّ احتفاءً برمضان منه ببقيـة الأشهر، وقد رَوَى البخاريُّ وغيرُه عن عائشة (رض) انه (كان اذا دخـل العشرُ الاواخرُ من رمضانَ أحيا الليـلَ كلَّه ، وأيقظ أهلَه ، وجد وشد المئزر ..)

التلميذ: لا ريب أن هذه ميزةٌ لرمضان ..

الشيخ : كيف لا .. إنها ميزة الشهر الذي ساد الشهور ، بكونه الفترةَ الزمنيةَ التي أكرمها اللهُ بإنزالِ كتابهِ الاخير ، بل كتبِـه كلها فيما يُروى ..

التلميذ: ويا لها من ميزة !

الشيخ : ثم هي أخيراً ميزةُ الليلةِ التي فضلهـــا اللهُ على ألفِ
شهر ، بأن جعلَهـــا ميقاتَ الشريعة ، التي نَسَخت
شرائعَ النبيين ، والنبأ العظيم الذي سيظلُّ يهز الدنيا
الى يومِ الدِّين !..

التلميذ: الآن فهمت كلمةَ ذلك الرجل الصالح لولده .. الآن
علمت كيف يجب أن أتلو القرآن ...

قد أفلح من تزكى

المقرىء يتلو : (..قد أفلح من تزكّى . وذكر اسم ربه فصلى. بل تؤثِرون الحياة الدنيا . والآخرةُ خير وأبقى . إن هذا لـَفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى .)

الشيخ : ما أحوجَ الناسَ إلىأن يفكروا طويلاً في هذه الكلمات الالهية !

التلميذ: كأن الشيخ ينطق بما في قلبي !

الشيخ : لا غروَ أن تتلاقى أفكارنا يا بني .. ما دمنا نصدر عن مُنْطَلَق الإيمان .

التلميذ: مما يهزني في هذة الكلمات ذلك التوكيدُ الهامُّ في قوله تعالى « قد أفلح من تزكى » فهو يقطع هنا بأن الفلاحَ ملازمٌ لِعمل التـَزَكـّي حتماً .

الشيخ : ذلك حق .

التلميذ: فحبذا لو جعلتَ درسَ اليومِ في إيضاح هذا التزكي ،

عسى نستطيعُ تحقيقَ بعضِه ، ليكونَ لنا حظ من ذلك الفلاح .

الشيخ : تلك هي طريقة السلف الصالح .. فقد رَوَينا في الخبرِ الصحيحِ عن عددٍ من الصحابةِ قولَهم « كنا نتعلم الآيَ من كتابِ الله ، فلا ننتقلُ منها إلى سواها حتى نتعلمَ العملَ بها . »

التلميذ: وهي الخطةُ المثلى لِتحقيقِ معاني الاسلام في سلوك أبنائه .

الشيخ : صدقتَ يا بني .. لأنَّ كلَّ فصلٍ بين العلمِ والعملِ في هذا الدينِ صائرٌ بأهلهِ الى التهلُكة .

التلميذ: أود لو تزيد هذه النقطةَ إيضاحاً .. يا شيخيَ الفاضل.

الشيخ : كثيرون شُحنت ذاكرتُهم بعلومِ هذا الدين، ولكنهم استَبْقَوْها في زاويةِ المحفوظات، كما يصنعُ أيُّ اجنبيٍّ علم منها شيئاً ، فهو يستطيعُ أن يكتبه ، أو يتحدثُ عنه في كثيرٍ من الدقة دون أن يصحح له خطأً نفسياً ، أو يدفعه خطوة نحو الحق . !

التلميذ: مَثَلُ هؤلاء كمَثَلِ الحمار يحمل أسفاراً !.

الشيخ : تماماً .. ثم هناك فئة أخرى آمنت بالإسلام عن طريق المحاكاة ثم أقبلت تعبدُ الله على طريق المحاكاة .. ترى الناس يُصَلُّون فتصلّي ، ويصومون فتصوم ، وترى

منهم من يدعو غيرَ اللهِ لِطلبِ النفعِ او الضر، فتجري وراءه في المنحدَرِ نفسه .. وهي تظن ان هذا هو الإسلام الذي أنزله الله !..

التلميذ: ما أكثر ما نرى هؤلاء !..

الشيخ : ولعلك جرَّبتَ تذكيرَهم بنصوصِ الوحي ، تُريد إرشادَهم الى الحقِّ ، فيرفضون في إصرار !..

التلميذ: نعم .. نعم .. ولا يكتفون بالرفض ، حتى نسمَعهم يرمون أهل الحقِّ بالضلالةِ والكفر ...

الشيخ : هؤلاء كأولئك من حيث البعدُ عن الانتفاعِ بحقائقِ الإسلام . وقديماً قيل « إن الجاهل مخطيءٌ ولو أصاب» لأنه لا يعرف الطريق الى الحقيقة ، ومن ثَـمَّ لا يتصلُ بها الا اتفاقاً !..

التلميذ : أوضحت وأفضت . فجزاك الله خيراً عن دينه. والآن الى مدلول التزكّـي في الآية الكريمة ..

الشيخ : حسناً .. فلنتذكر ان الجَذْرَ الأصليَّ لِكلمة التزكّـي هو الزاي والكاف والواو ، ومنه يأتي لفظُ الزَّكاة والتزكية .. فنحن نقول : « زكا النبات » .. نريد أنه نما في جمال وجودة .

التلميذ : ولكن .. ما صلةُ النماءِ بقوله تعالى « خذ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها ! » وقوله الآخر « قد

أفلح من زكاها » ؟

الشيخ : الصلة وثيقة .. ألا ترى أن أداء المسلم زكاة أمواله عن طيب خاطر من شأنه أن ينمي في قلبه نوازعَ الخير ، فتتغلّبَ بذلك على الشحِّ الذي هو الرافدُ الأكبرُ لمعظم الرذائل !..

التلميذ : حقاً .. وهو نماء يمكن وصفه كذلك بالجمال والجودة .

الشيخ : وإذن فقد أدركت كيف يزكي الإنسان المؤمن نفسه..

التلميذ : أرجو أن أكون قد أدركت ذلك .. أليست تزكية النفس تتم بتدريبها على الفضائل حتى تنقى وتصفو.. وبذلك تستوفي جمالها وكمالها !..

الشيخ : أحسنت... أضف إلى ذلك يا بني أن التزكية لم ترد في القرآن العظيم إلا في الحالات المعنوية .. فالزكاة والتزكّي والتزكية .. كل أولئك متجه الى ناحية النفس بخاصة .

التلميذ : ظاهرة هامّة !.

الشيخ : وقد رأيتَ مما أسلفنا أن زكاةَ المال مَطهَرة للنفس.. والنفسُ الطاهرةُ لا تقبل المال إلا من الكسب الحلال ، فكأنها بذلك طُهْرة للمال نفسه .

التلميذ : إذن فالعلاقة وثيقة بين الزكاةِ وبين قوله تعالى « قد أفلح من تزكى » !..

الشيخ : جداً ..

التلميذ : هل هناك من يقول بذلك من المفسرين ؟.

الشيخ : أجل .. فقد روى ابن جرير عن بعض السلف ما يُفيد أن المرادَ بالتزكّي هنا صدقةُ الفطر ، وبالصلاة صلاةُ العيد ، وكذلك نقلَ بعضُ الثقاتِ عن عمرَ بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراجِ صدقةِ الفطر، ويتلو هاتين الآيتين ..

التلميذ : ولكن في هذا ما يُنبيء بأهميةِ زكاةِ الفطر ، وهي من الضآلة بحيث لا تستحق الإهتمام !..

الشيخ : لا تعجل أيها الفتى.. واستمع الى ابن جرير يُؤكدُ أهمية هذه الزكاةِ ،عندما يؤكد أن أهلَ المدينةِ أيامَ السلفِ لم يكونوا يرون صدقةً أفضلَ منها .

التلميذ : ومن أين جاءتها هذه الأهمية !.

الشيخ : جاءتها من حيثُ كونها وسيلةً الى تمكينِ الفقراءِ من المشاركةِ في بهجةِ العيد ، إذ تَملأ أيديَهم بالخير ، حتى لا يكونوا بحاجةٍ الى سؤال ! .

التلميذ : أصاع من تمرٍ أو شعير .. او نصفُ صاع من بُرٍّ يفعل كل ذلك ؟!..

الشيخ : وهذه عجلة لا تَحْسُنُ بطالب المعرفة .. ولو دققت لما عجلت .

التلميذ : أعنّي بعلمك زاد الله في حلمك ..

الشيخ : لقد أوجب الشارع يا بنيّ صدقةَ الفطرِ على الذكر والانثى والحُرِّ والمملوك والصغير والكبير .. يُؤدي الرجل عن نفسه ومَن يَعوله من هؤلاء .. وجعلها خاصة بالمساكين وحدَهم ، بخلافِ زكاة المال التي لا تؤخذ من غير الأغنياء ، وتوزع على أسهمها الثمانية جميعاً ..

التلميذ : بدأت أفهم ..

الشيخ : وفي الخبر النبوي أمر بإغناء المساكين في ذلك اليوم .. وهذا يعني أن عدداً من الصدقات قد تُصرفُ للمسكين الواحد ، فيصيرُ بذلك قادراً على التصدّق بدوره أيضاً .

التلميذ : هذا تكريم رائع لإنسانيةِ المسكين !..

الشيخ : وهكذا ترى أن الصدقةَ الصغيرة قد حققتْ عملين كبيرين .

التلميذ : عملين كبيرين !..

الشيخ : أجل .. أما أحدهما فتمكين المساكين من المشاركة بالبهجة والإحسانِ معاً ، وأما الثاني فتزكيةُ نفس المتصدِّق ، إذ يشعر أنه أسهمَ بإشاعة هذا الخير في مجتمعه ، اثناء هذه الفرصة السعيدة .

التلميذ : الآن فهمت ما يَعنيهِ رسولُ اللهِ صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه عن هـذه الصدقة (طُهرة للصيام ، وطُعمة للمساكين .)

الشيخ : لعلك تعلمتَ أن لا تتعجلَ في أحكامِك بعدَ اليوم ؟!.

التلميذ : كيف لا.. وقد كادت العجلة تحرمني فضيلةَ الإدراكِ لمدلولِ قولِ الله تبارك وتعالى : (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . .)

حيّ على الصلاة

صوت المقرىء يتلو من سورة المؤمنون : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم .

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللَّغْوِ مُعرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غيرُ ملومين . فمن ابتغى وراءَ ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتِهم وعهدِهم راعون . والذين هم على صلواتِهم يحافظون . أولئك هم الوارثون. الذين يَرثون الفردوسِ هم فيها خالدون) .

الشيخ : اللهم اجعلنا من هؤلاء الأبطالِ الميامين ..

التلميذ : آمين ... ولكن ..

الشيخ : هذه (اللاّكن) ما بالها ؟.. لعلك تريد أن تستدرك بها على آمين ؟.

التلميذ : لا مكان لهـــذا .. غير أني أتساءل عن صلة الآيات بالبطولات ؟!.

الشيخ : وماذا كان علينا أن نطلب ونحن نستمعُ الى هـــذه الصفات الخارقات ؟.

التلميذ : اعتاد الناس أن يقولوا عقيب سماع القرآن : صدق الله العظيم .. وإذا كان فيما يسمعون أمر أو نهي يسألون ربهم المعونةَ على طاعته ..

الشيخ : ولو أنعمت الفكر فيما سمعت لرأيت شيخك لم يتجاوز ما قررت ..

التلميذ: ولكن الأبطال الميامين .. ما علاقتهم بمثل هـــذه القرارات الخلقية التي تعرضها آيات اليوم ؟

الشيخ : هل لك أولاً في إيجاز هذه المقررات ؟.

التلميذ: إن الله يصف لنا الأنموذج المفضل من عباده ، ويورد لنا المزايا التي بها استحق رضوانه .. وهي الإيمان وتوابعه من الصلاة والتهذيب . والإحسان والعفة ، والأمانـة ، والعدالة ..

الشيخ : لولا سوء استعمال كلمة (التقدمية) في هذه الأيام لقلت لك : هذا تقدم رائع !..

التلميذ: خير لي أن أُرمى بالرجعية من أن أنبذ بالتقدمية .. ما دامت الأولى عنـــد هؤلاء التقدميين رمزَ الإلتزام

لفضائل الدين ، والأخرى شعار التائهين المضلّلين !..

الشيخ : فلنهنأ برجعيتنا إذن ريثما يصبح التيه والضلال خيراً في ميزان العقل من الهداية والاطمئنان ..

التلميذ: ما أبرع سخريةَ العلماء!..ولكن سؤالي لا يزال بانتظار جواب الشيخ ..

الشيخ : لو دققت التفكير فيما قلت وقلنا لوجدت خلاله الجواب الذي تريده ..

التلميذ : عجيب !. وأين هذا ؟!..

الشيخ : هذه الأخلاق التي استخلصتها من الآيات . هل تعتقد أن من الميسور لك تحقيقها في سهولة ؟..

التلميذ : هيهات !.. إن دون ذلك َلأهوالاً ونضالاً دونه كل نضال ..

الشيخ : وخوض الأهوال والصبر على النضال لا يُطيقـُه يا بنيَّ إلا الكبار من ميامين الأبطال !.

التلميذ: حقاً .. حقاً .. ما أعلق هـــذا بقول رسول الله : (حُفـَّت النار بالشهوات وحـُفـَّت الجنة بالمكاره .)

الشيخ : صدق رسول الله !. فليس أمتع للنفس من الانزلاق في منحـدرات الإثم ، ولا أشق عليها من الصعود الى قمم الحزم ، ولكن الإنسان الذي يأخذ نفسه بممارسة هذا البرنامج الإلـهي تصبح الفضيلة ملكة في أخلاقه ، حتى

لينفر من الرذائل كما ينفر غيره من الفضائل !.

التلميذ: ليسمَح لي فضيلة الشيخ أن أقول في صراحة : إننا كثيراً ما نرى ممارسين للصلاة يرتكبون من الآثام ما يهدم فضائل الصلاة !.

الشيخ : وأي عجب في هذا ؟.. إن هؤلاء يا بني قد اعتادوا هذا النوع من العبادة ، حتى بات جزءاً من حركاتهم اليومية ، فهم يأتونه دونما وعي ، كما يقوم أحدنا بكثير من أعماله بدافع العادة وحدها ..

التلميذ: ولكنهم على أي حال مصلون .. وبموجب الوعد الإلهي مفلحون !..

الشيخ : لو رجَعتَ البصرَ في نظم الآيات لوجدت أن الفلاح موقوف على مجموع الصفات التي سردها الله هناك ، (لا على مجرد الصلاة وحدها ..)

التلميذ: (يقرأ في أناة وتأمل : قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ...

الشيخ : ولو نظرت الى ذكرِ الصلاة نفسِها في الآيات لرأيت أمراً هاماً ما ينبغي أن يفوتك .

التلميذ : لعله اقتران الصلاة بالخشوع ؟..

الشيخ : نعم .. وتكرار ذكرها في مبدإ الآيات بعد الإيمان ، ثمَّ في ختام الآيات بعد مجموعة الآداب المفصَّلة ..

التلميذ : (يقرأ في تأمل) : .. والذين هم على صلواتهم يحافظون ..

الشيخ : فالمصلّي لا يستطيع أن يكون خاشعاً يا بني إلا أن يكون مستغرق القلب والعقل في جلال الله ، متدبراً لما يتلو من آيات ، متنبهاً لما يتحرك به لسانه من ذكره .. ومثل هذا لا يستطيعُ أن يسهو عن موعد صلاة ، وبالتالي لا يستطيع أن يؤديها في عجلة الكاره لها سرقةً كنقر الديك .. بل يقدمها متقنة كاملة ، تتحقق فيها صفة الإقامة التي أمر الله بها في مثل قوله : (وأقيموا الصلاة ..)

التلميذ : إذن فمن هنا كانت الصلاة من أحبِّ الأعمال الى رسول الله !..

الشيخ : أجل .. حتى كان ﷺ يعالج بها كرباته فيقول : (أَرِحْنا بالصلاة يا بلال .) فالصلاةُ بنظره وسيلة إلى إراحة النفس من عناء الدنيا ، لأنها الفرصة التي يتحرر بها الإنسان من أغلال الدنيا كلها ..

التلميذ : الآن فهمت مؤدى قول الله تعالى لنبيه : « .. وأقم الصلاة .. إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. »

الشيخ : وكم أحب لك يا بني أن تنفذ الى ما وراء كلمتَي الفحشاء والمنكر .. في هذه الآية الجليلة .. ولو فعلت لأدركتَ من جمال الصلاة ما يجعلها أحب الاشياء الى قلبك !.

التلميذ : الفحشاء .. المنكر ..

الشيخ : تذكر يا بني أن الفاحش من القول ومن العمل أقبحه مطلقاً ، فكونُ الصلاةِ ناهيةً عن الفحشاء يعني أنها تضبط الجوارح والغرائز ضمن حدود الخير والحق ، فلا ينطق المصلي بما يجرح أدبه ، ولا يعمل ما يشين دينه ..

التلميذ : ما كان أبعدني عن هذه الدقة في الفهم !..

الشيخ : أما المنكر فهو في اللغة كل عمل أو قول لا يلقى رضى الله . فهو إذن أقل سوءاً من الفحشاء ، والتحرر من الفحشاء ينطوي بطبيعته على التحرر من كل منكر ، ولكنّ في إفراده بالذكر توكيداً على أهمية الصلاة في تطهير النفس من كل آثار المفاسد غليظها وخفيفها ...

التلميذ: لو يعلم النّاس هذه الحقائق !..

الشيخ : إذن لما كنت ترى المصلّي السّاهي عن صلاته ،والمصلّي المستهتر في حركاته ،والمصلّي الذي لا تنهاه صلاته عن فاحش ولا منكر في حياته !..

التلميذ: واذن لـتغيرتْ مسيرةُ التاريخ ...

الشيخ : كما تغيرتْ من قبل على أيدي أولئك الذين خلـّد الله ذكرهم بقوله في وصفهم : (تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا .. سيماهم في وجوههم من أثر السجود .)

التلميذ: ما أكثر المصلين ، وما أقل من تنطبق عليهم صفات هؤلاء المؤمنين السابقين !!..

الشيخ : بل قل : ما أحوج المسلمين ، في عصرهم المادي هذا ، وفي معاركهم التي يخوضونها مع الشيوعية والصليبية ، إلى استعادة روح الصلاة الخاشعة ، ليعيدوا بها بنـــاء شخصيتهم ، وليحسنوا التصرف بطاقاتهم !.

التلميذ : ولكن (التقدميين) لا يرون في الصلاة إلا بقيـة من آثار التخلُّف !.

الشيخ : هؤلاء يا بني لا يعون ما يقولون..ولو كانوا ممن يَهُمُّهُم العلم والحق لكان هناك متسع لإقناعهم بأن الكثير من معضلات العصر الحديث لا علاج لها إلا بالصلاة !.

التلميذ : بالصلاة !.

الشيخ : نعم .. بالصلاة .. إسمع يا بني . إن الآلة تكاد تستحوذ على السلوك البشري بأجمعه في عصر الصناعة .

التلميذ : بالتأكيد ..

الشيخ : وقد سلبت إنسان هـــذا العصر الكثير من هدوئه واطمئنانه ، وشحنته بالقلق والسأم ، والتوتر العصبي..

التلميذ : حتى الإنفجار ..

الشيخ : أضف إلى ذلك التفاوت الذي تخلفه تعقيدات المدنيـة بين أصنـــاف الناس . كأني تراه بين الحـاكم والمحكوم ، والقـــائد والجندي ، وصاحب العمل وعامله ، والمعلمِ وطالبه .. والمفكر والسوقي ..

التلميذ : هذه فوارق لا سبيل لتجنبها ..

الشيخ : حقاً .. ولكن تركها دون علاجٍ مؤدٍّ إلى التناحر والبغضاء . وإلى ما يسميه (التقدميون) بالصراع الطبقي ، الذي لا سلام منه ولا استقرار معه !

التلميذ : ذلك أمر مشهود .. فما علاقة الصلاة به !.

الشيخ : الصلاة يا بني هي الكفيلة بمحو ذلك القلق ، وتصعيد ذلك التوتر بما تتيحه للمصلّي بين ساعة وساعة من فرص التأمل الهادىء فيما حوله ، والمناجاة الخاشعة لخالقه ..

التلميذ : سبحانه !.

الشيخ : وفي ظل هذه الفرص يتلاقى هؤلاء المختلفون من البشر .. فيقف كل منهم بجانب الآخر ، وقد تفتّتت من بينهم حواجز الرتب والمُرتّبات ، فتماسّت المناكب ، وتلاقت الجباهُ على الأرض ، تُسبّحُ مانح الحياة ، وقد عاودها اليقين بوحدة المنبت والمآب ، والشعور بالحاجة إلى رحمة ذلك الكريم الوهاب ..

التلميذ : ياللمساواة !.

الشيخ : وليكن آخر شيء أذكرك به من أسرار الصلاة .. حاجتنا أنت وأنا إلى هذا الاستجمام الروحيّ المنير ، الذي به يعالج شيخُك شرايينَه المرهقة تحت أثقال التفكير !.

التلميذ : من هنـــا إذن كان ارتياحك لسماع الآذان في أوقاته الخمسة !.

الشيخ : هو كذلك .. فبالوضوء أبرّد حرارة الأعصـــاب ، وبالصلاة أتخفف من ضغط الإرهـــاق .. ولولا فرض الصلاة يا بني لاستحال على شيخك النهوض بهذه الأعمال التي تثقل أعناق الرجال ..

صوت المؤذن من بعيد : (الله أكبر .. الله أكبر ..)

الشيخ والتلميذ : الله أكبر .. الله أكبر .. (ثم تغيب الأصوات تدريجيا ...)

مكر الليل والنهار

الشيخ : أي بنيّ .. ما الذي يشغل بالك ؟.

التلميذ : (يتلو في همس) : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض .. » عفواً .. تسألني !.

الشيخ : أجل .. أسألك عما يشغلك ..

التلميذ : يشغلني .. هاتان الآيتان اللتان مرّا بي في سورة التوبة قبيل قدومك ..

الشيخ : إقرأهما نتخذ منهما حديث اليوم ..

التلميذ : ذلك ما كنت أهمُّ به فسبقتني إليه .. أما الآيتان فهما قول الله في وصف المنافقين : « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم .. إن المنافقين هم الفاسقون ». ثم قوله تعالى في وصف المؤمنين : « .. والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ،

يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة، ويُؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم » .

الشيخ : من حقك أن تشغل بأمرهما . . إنهما لتُصَوِّران ظروف المعركة، منذ اليوم الأول من حياة البشرية حتى يومها الأخير .

التلميذ : المعركة !! . .

الشيخ : أجل . . المعركة التي أنت أحد جنودها من حيث لا تدري . .

التلميذ : حقاً . . إنني لا أدري . .

الشيخ : ومع ذلك فالأمر أقرب إليك مما تظن . . هنا فريقان : مؤمن ومنافق . . فمع أيهما أنت ؟ .

التلميذ : ولكن الناس أكثر من فريقين . . فهناك غير المنافقين أصناف لا عداد لها من أهل الضلالة . .

الشيخ : هذه ظواهر متعددة لشيء واحد . . فالإنسان لا يكون مؤمناً إلا أن يحرر إيمانه من أي شائبة تنحرف به عن طريق التوحيد . .

التلميذ : هذه حقيقة أصبحت ممزوجة بدمي . .

الشيخ : بقي أن تعلم أن الإنحراف مجاري كثيرة، منها الكفر، ومنها الشرك، ومنها النفاق . والمنافق يضم إلى

الكفر والشرك خاصّة الخداع والكذب ، فهو أخطر أصناف المنحرفين على السلوك البشري !.

التلميذ : لذلك عيّن الله مصيرهم في الدّرْك الأسفل من النار !.

الشيخ : إذن فعليك أن تعين مكانك مع أي الفريقين ..

التلميذ : مع أهداهما بفضل الله .

الشيخ : فأنت إذن محارب في معركة الحياة شئت أو أبيت !.

التلميذ : محارب !.

الشيخ . نعم .. محارب لدعوات الباطل ، بما تقوم به من أمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، في مقابل أولئك الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .

التلميذ : غير أني لا أعي كيف يمكن لإنسان أن يأمر بمنكر ، وينهى عن معروف !.

الشيخ : تذكر ما اتفقنا عليه من أن مجرد الخروج عن دائرة الإيمان مقحم صاحبه في تيارات الضلال ..

التلميذ : ذلك أمر مشهود ..

الشيخ : فالمؤمن يا بني يسلك طريقه على بصيرة في ضوء الوحي ، الذي يكشف له حقائق الأشياء ، فلا يلتبس عليه الحق بالباطل ، كالرُّبان الماهر يخوض المحيط وهو عارف وجهته ، بالإعتماد على مؤشره الدقيق ..

التلميذ : تشبيه بارع .. بل تفسير رائع لقوله تعالى : « ومن

يؤمن بالله يهدِ قلبه ..)

الشيخ : فما شأن الذي نسيَ الله إذن إلا أن ينساه الله ، فهو يخبط على غير هدى ، ليقضي حياته في تجارب لا تدنيه من الحقيقة قيد شعرة !.

التلميذ : كشأن أولئك المتسلطين الذي يسمون تصرفاتهم الهدامة تجارب، ثم لا يستحيون من الإعتراف بالإخفاق تلوَ الاخفاق فكأنّ الشعوب بنظرهم فئران ، يعبثون بها لإجراء اختباراتهم الحمقاء عليها !.

الشيخ : تمثيل موفق يبين الفرق بين المؤمنين وغير المؤمنين ..

التلميذ : إنه الفرق بين من يمشي مكبّاً على وجهه ، ومن يمشي سوياً على صراط مستقيم ..

الشيخ : ومن هنا نعلم شيئاً جديداً ، هو أن الإيمان ليس ادّعاء ولا هويّة ، ولكنه عنوان لمجموعة من الأركان والآداب ، هي التي تؤلف النظام الإسلامي الكامل ..

التلميذ : إذن فما حكم أولئك الذين يزعمون الإسلام ، ثم لا نجد في أعمالهم وأنظمتهم دليلاً واحداً على إسلامهم !.

الشيخ : لقد عرّفتهم أنت بما عرّفهم به الله حين قال في أمثالهم : « ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وقد أُمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يُضلّهم

ضلالاً بعيداً .. »

التلميذ : وما الطاغوت هذا ؟؟..

الشيخ : إنه كل طاغيـــة ، وكل نظام لا ينهض على أساس من وحي الله .. سواء كان من صنع فرد أو جماعة، وسواءٌ جاء من شرق أو غرب ..

التلميذ : فما أبعد أولئــك المضلّلين إذن عن حقيقة الإسلام .. الذين يدّعونه ويحاربون دعاته !.

الشيخ : هؤلاء يحـاربون الله قبل كل شيء ، إلا أنهم ينعمون بخيره ، ويسلمون أنفسهم إلى غيره !.

التلميذ : ومع ذلك لا يستحيون أن يملأوا الدنيا تبجحاً بادعـاء العدالة والحرية !.

الشيخ : وكيف يستطيعون إفساد ضمائر العامـة إذا لم يفسدوا أولاً معاني الكلمات ، فيسموا الظلم عدلاً والباطل حقاً ، والكفر تقدمية ، والدعوة إلى الإسلام خيـــانة ورجعية !.

التلميذ : الآن فهمت معنى الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف .. ولكني لا أفهم كيف يصدق المغفّلون من الناس هـذه الأضاليل !.

الشيخ : تذكر يا بني تلك المحاورة الرهيبة ، التي يعرِضها لنـا القرآن العظيم بين الخادعين والمخدوعين يوم القيامة: « إذ

يقول الذين استُضعفوا للذين استكبروا: لولا أنتم لكنا مؤمنين » . فيردّ هؤلاء : « أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم !. بل كنتم مجرمين » . فيجيب الضعفاء : « بل مكر الليل والنهار ، إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً » . .

التلميذ : يا له من حوار هائل !.

الشيخ : أريد أن أستوثق من فطنتك . . فقل لي : ماذا تفهم من قول المخدوعين لخادعيهم : « بل مكر الليل والنهار . . » ؟

التلميذ : لعل أقرب تفسير لهذا المكر ما نسمعه هذه الأيام من ألوان الأكاذيب ، يسخر لها الخداعون العشرات من وسائل الإعلام ، يسلطونها على أسماع الغوغاء وأنصاف المتعلمين ، فلا يستطيع هؤلاء لها رداً ، ولا يملكون لها تفنيداً ولا نقداً !.

الشيخ : وهكذا يا بني يتحقق في هؤلاء المتسلطين قول رب العالمين : « ألم ترَ إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً ، وأحلّوا قومهم دار البوار !. »

التلميذ : أجل والله . . لقد آتاهم الله نعمة السلطان ، ووضع في أيديهم أزمة عباده ، فبدلاً من أن يردوهم إليه ،

ويحملوهم على شريعته ، راحوا يدفعونهم دفعاً في مزالق الهوان ، حتى صاروا بهم إلى أسوأ مكان ..

الشيخ : لقد أدركت الكثير في الوقت اليسير .. وهـذا بعض ثمار الإيمـان الصحيح ، الذي يقول الله في شأنه : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم .. »

التلميذ : إسألِ الله لتلميذك أن يثبته على الحق ..

الشيخ : ويثبتني معه ، ولا سيما في هـذه الزعازع التي لا يتماسك فيها إلا من رحم الله ..

التلميذ : حقاً .. إنهـا لزعازع من حقها أن تحير المفكرين ، فلا يعلمون ما يعملون !.

الشيخ : وفيم الحيرة ؟. إن طريق العمل واضح لمن يريده ..

التلميذ : لو تكرمت بتعيينه !.

الشيخ : إنه الإلتزام بضوابط الإسلام ..

التلميذ : هذا إيجاز يعوزه التفصيل ..

الشيخ : حسناً .. فاعـلم إذن أن عليك أولاً التضلـّع من معين القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح، حتى تملك المقاييس التي بهـا تفرّق بين الحق والباطل الذي يلبس رداء الحق ..

التلميذ : ثمّ ماذا ؟.

الشيخ : ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. فبهما يحقق المفكر المسلم مهمته في تحصين المجتمع الإسلامي من مفاجئات اللصوص والمخربين ..

التلميذ : فمن أجل ذلك إذن يقول رسول الله ﷺ : « لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

الشيخ : بلى .. ومن أجل ذلك يقول أيضاً : (إذا رأيت أُمتي تهاب الظالم أن تقول له : إنك ظالم فقد تُودّع منهم) ..

التلميذ : فالويل إذن لأولئك المضلين الذين يسخرون علمهم لتأييد الظالمين !.

الشيخ : كأنك تريد تلك الأبواق المعممة ، التي لا عمل لها إلا إفراغ الصفة الشرعية على تصرفات المتسلطين ..

التلميذ : وهل ثمة من يجهل أصحاب الفتاوى التي تبارك المرابين، وتستحل أموال الكادحين ، وتستبيح دماء المؤمنات والمؤمنين !!..

الشيخ : بمثل هذا التضليل يا بنيّ تُعطّلُ شريعة الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ويا لشقاءِ الأمة حين تنتهي إلى هذه المحنة !.

التلميذ : إنها إذ ذاك ستصبح فريسة الأوغاد.. وما أكثر هؤلاء الذين يتحكمون اليوم في العباد والبلاد !.

الشيخ : ألم أقل لك إنها المعركة !. المعركة التي لولا دفع الله الناس فيها بعضهم ببعض لفسدت الأرض !.

التلميذ : لا ريب في ذلك .. فالله نسأل أن ينصرنا على الأشرار ..

الشيخ : وأن يحفظ أمتنا من مكر الليل والنهار ..

التلميذ : آمين .. يا ملاذ المستضعفين ..

الشيخ : آمين .. يا مدمّر الجبارين ..

حزب الله

الشيخ : إيه يا بنيّ .. لقد تركنا لك اختيار البحث الذي تشاء .. فماذا أعددت ؟.

التلميذ : لقد حيّرتني حين خيّرتني ..

الشيخ : وكيف ؟

التلميذ : رأيت أن أقيد الآيات التي أُحب أن أسألك عنها ..

الشيخ : حسناً تفعل ..

التلميذ : ولكني وجدت نفسي أمام قائمة أعرف بدايتها ولا أعرف نهايتها !.

الشيخ : هذه ميزة القرآن .. كل آية منه ، بل كل كلمة ، معجزة ..

التلميذ : فكيف العمل إذن ؟.

الشيخ : أتذكر علام اتفقنا ؟.

التلميذ : اتفقنا على أن تكون أحاديثنا الجديدة (أقباساً من الوحي) .

الشيخ : وأن يكون موضوع البحث لكل مجلس آيات من الذكر الحكيم ، أو شيئاً من كلام الرسول الكريم ، دون تعيينٍ سوى ما تراه لها من صلة بقضايا الساعة ..

التلميذ : هو كذلك ..

الشيخ : فاختر مما قيدت ، ما يحقق لك هذا الغرض .

التلميذ : إذن فليكن حديثُ اليوم حول هذه الخاتمة المثيرة من سورة « المجادلة » : (لا تَجدُ قوماً يؤمنون باللهِ واليوم الآخِر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أَو أبناءهم، أو إخوانهم أَو عشيرتهم. . أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروحٍ منه ، ويُدخلُهم جنات تجري من تحتِها الأنهار ، خالدين فيها ، رضيَ الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزبُ الله .. ألا إن حزبَ الله هم المُفلحون) .

الشيخ : لقد اخترتَ موضوع الساعة حقاً .. وما أحوج المسلمين ، ولا سيما الجيل الجديد منهم ، إلى الإغتراف من مَعينِ هذا التوجيه الرباني !.

التلميذ : وهذا ما قصدتُ إليه .

الشيخ : هل لك أن تحدد أولاً النقاط التي اجتذبت تفكيرك

من الآية ؟.

التلميذ : هناك نقطتان .. أُولاهما : إعتبار الإيمان الصحيح مانعاً من موالاةِ المخالفين .. والثانيةُ : تسمية أصحاب هذا الإيمان حزبَ الله !.

الشيخ : سأحدثك عن هاتين النقطتين ، ولكنني لن أكتفي بهما ففي الآية شئون أُخرى لا تقلُّ أهمية عنهما .

التلميذ : ذلك مزيدٌ من الخير عودتني أن لا تضنّ به .

الشيخ : في النقطة الأولى يا بنيّ تحديدٌ للمنطلق الذي عليه يقوم المجتمع الذي أنشأه الإسلام .. فالروابط الجاهلية التي تعتبر القرابة الدمويّة هي ركيزة المجتمع ، قد انتهى أمرُها وحلت مكانها وشائج العقيدة ، التي تصهر الألوان والأجناس جميعاً في بوتقة الأُخوّةِ الإسلامية ..

التلميذ : أفهم هذا .. ولكن .. هل تفرض أُخوة الإسلام أن يحجب المسلم ردّه عن أهل قرابته ، لمجرد كونهم غير مسلمين ؟.

الشيخ : غير المؤمن لا بد أن يكون مسالماً للدعوة الإسلامية ، أو محارباً لها .

التلميذ : لا يخلو المخالف من أحد هذين الموقفين ..

الشيخ : فموقفُه من الدعوة هو الذي يحدد موقف المؤمن منه ، فإذا أبى إلا محاربة الاسلام والكيدَ لدعاتِه ، كان لزاماً على المؤمن أن يجابهه بالعِداء الذي لا هوادة فيه ،

ولو كان من أقرب الناس إليه .

التلميذ : هذا موقفنا من المعادي ، فما شأننا مع المسالم ؟

الشيخ : نستقيم له ما استقام لنا .. ونعامله بالإحسان الذي أمرنا به الله في قوله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يُخرجوكم من دياركم ، أن تَبرُّوهم وتُقسِطوا إليهم .. إن الله يُحبُّ المُقسِطين » .

التلميذ : كان عليَّ أن أعيَ هذا التفصيلَ من خلال الآية .. بقيت النقطة الثانية ..

الشيخ : أنعمِ الفكر في ما قدمت لك تجدْ أنني أوضحتها ..

التلميذ : وكيف ؟.

الشيخ : تذكّر أن الأفراد الذين يتألف منهم هذا المجتمع الجديد قد أصبحوا بحكم إيمانهم متخلين عن كل ارتباطٍ يُخلُّ بالتزامهم نحو ربهم ، فلا سلام عندهم ولا خصام إلا على أساس هذا الإيمان ، ومِن هنا كانت تسميتهم بحزب الله أصدق تعبيرٍ عن واقعهم ..

التلميذ : لم يبق أي غموض حول النقطتين اللتين سألت عنهما ..

الشيخ : وقد بقي ما لم تسأل عنه .

التلميذ : هذا ما أنتظر الآن إيضاحه .

الشيخ : أرجع البصر في نظم الآية ، فسترى غير العنصرين اللذين شغلاك ، أموراً لا يحسن بمسلم جهلها ..

التلميذ : ما أشوقني الى معرفة كل جديد !.

الشيخ : أول هذه الأمور إيراد الأخبار عن موقف المؤمنين من أعداء الله بطريقةِ النفي العامّ ... فكل مؤمن يرفض الموالاة لكلّ محادٍّ لله ولرسوله ، أيّاً كان ، وفي أيّ مكان وزمان ..

التلميذ: هذه واحدة ..

الشيخ : لكن مثل هـــذا التصميم لا بد له من رصيدٍ روحيّ يتعهد نماءَه واستمرارَه أمام الأحداث . وذلك مـــا ينطوي تحت قوله تعالى : (وأيَّدهم بروحٍ منه) .

التلميذ: وهذه ثانية ..

الشيخ : وطبيعيٌ أن قوماً هذه صلتُهم بالله ، وهذا إصرارُهم على طاعته ، جديرون من ربهم بأكرم المَثوبة ..

التلميذ: ويا لها مثوبة !.. جناتٍ تجري من تحتها الأنهـــار .. خالدين فيها ..

الشيخ : هناك درجة أُخرى فوق هذا النعيم .. إنه الرضوان المتقابل بينهم وبين ربهم، فهو عنهم راض وعنه راضون .

التلميذ : لذلك شرفهم الله بالاضافة إليه فسماهم حزبه .

الشيخ : ثم ختم ذلك كله بتقرير قانونه الخالد ، وهو أن الفلاح موقوف أبداً على هذه الفئة النقية من خلق الله .

التلميذ: (يقرأ على نفسه في خشوع) : (ألا إن حزب الله هم المفلحون .) !

الشيخ : ثم لا يفوتنَّك يا بني أن تتأمل في بعض خصائص هذا التذييل الحكيم .. إن هنا مؤكدات أربعة : (ألا) و (إن) و (هم) ثم الجملة الإسمية .. وهي مؤكدات من شأنها أن تملأ قلوب المؤمنين ثقة برحمة الله ، فلا يضنون على دينه بتضحية ، ولا ييأسون من نصرته ، مهما تتكاثف عليهم الظلمات !.

التلميذ: ومع ذلك ..

الشيخ : أتمم ولا تُجمجمْ ..

التلميذ: مع ذلك يأبى الكثيرون من المسلمين إلا أن يكونوا في غير حزبِ الله !.

الشيخ : ومرة أخرى أختبر فطنتَك .. فقل لي : بماذا تعرف هؤلاء ؟؟

التلميذ: بالانحراف عن أخُوَّةِ الإسلام الى الدعواتِ العصبيَّة ، والمذاهب المستوردة .. تلك التي لا محصول لها سوى تفتيت القوى وتمزيق الأرحام ..

الشيخ : صدقت يا بني .. إنها جاهلية جديدة .. يدفعون بها شعوبَهم في الطريق المعاكس تماماً لأخوّة الإسلام ، فالإسلام يدعوهم الى التعاون على البر والتقوى ..

التلميذ: وهم يأبون إلا التنابذَ والتعاونَ على الإثم والعدوان ..

الشيخ : والإسلام يدعوهم إلى بناءِ وجودهم على أساس التحابّ في الله ، والوحدة في العقيدة ..

التلميذ : وهم يرفضون إلا العودةَ إلى العصبيـات المنتنةِ ، التي لولا الإسلام لانتهت بهذه الأمة إلى الفناء ..

الشيخ : ثم إن الله حصَّن مجتمع الإسلام بالمبادىء التي تصون لكل فرد حقه ، وتستأصل أسباب النزاع ، بما أقام للناس من الحدود المبينةِ للحلال والحرام ، والمحققةِ للعدالة والسلام ..

التلميذ : ولكنهم أبوا إلا إلغاء الحدود ، واغتصابَ الحقوق ، وإحلال الصراع الهدّام محلّ التراحم والوئام ..

الشيخ : وطبيعي أنهم لن يسمحوا بأي نقدٍ لزيغهم هذا ، ولن يرضوا عن أيّ صوتٍ يرتفع بالدعوة إلى الله ، ولهذا يعمدون الى تشويه الحقائق ، وإنزال أشدّ العذاب بأهلها ..

التلميذ: وإلامَ يستمرُّ هذا الطغيان ؟

الشيخ : مثل هذا السؤال قد طرحه المظلومون من قبلك .. فكان جواب السماء عليه : (حتى إذا استيأسَ الرسلُ وظنوا أنهم قد كُذِّبوا جاءهم نصرُنا ، فنُجّيَ مَن نشاءُ ، ولا يُردُّ بأسُنا عن القوم المُجرمين ..)

التلميذ: ما أشبه الليلة بالبارحة !.. وما أروع انتقام الله عندما ينصبُّ على رؤوس المجرمين !

الشيخ : إن للعدالةِ مواعيدَها المقررة وراء الغيب ، فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون ..

التلميذ: اللهم نصرَك الذي وعدتَ ورحمتَك التي عوّدت ..

الشيخ : لقد بدأتْ تباشيرُ الفجر يا بني.. وها هي ذي الأرضُ تميدُ تحت أقدام الغاشمين ..

التلميذ: أجلْ .. والله .. وإني لأشهدُ هذه الطلائعَ المباركة تكتسح اليومَ صروحاً طالما ظنّ أصحابها أنّها مانعتُهم من الله !.

الشيخ : وهكذا يأتي اللهُ الظالمين من حيث لا يحتسبون .والمهم أن لا ييأس المؤمنون ، مهما طغى الظلام ، ومهما بالغ في كيدهم الباغون ..

التلميذ : وهل ييأس من رَوْحِ اللهِ إلا القومُ الكافرون !...



نماذج مشوهة

الشيخ : ايه يا بني .. ماذا أعددت ؟..

التلميذ : كانت تلاوتي صباح اليوم في إحدى السور التي شيَّبَت رسول الله .

الشيخ : هود وأخواتها ؟..

التلميذ : أجل .. إنها هود .. إنها هود ..

الشيخ : إن فيها ما يشيب ويؤدب .. فعلى أي آياتها تريد أن يدور حديث اليوم !..

التلميذ: من أعسر العسر أن يحاول قارىء هود اختيار جانب منها ..فكل آية مصدر عجب ، وينبوع أدب ..

الشيخ : فلنقف على أحد هذه الينابيع السماوية ..

التلميذ : هـــذا ما عولت أن أفعله .. لذلك أودُّ لو تتكرم بالكلام عن فريقَي الكفر والإيمان كما تصورهما هـذه السورة .

الشيخ : أتل الآيات الخاصة بالفريقين لنكون على صلة مباشرة بالموضوع .

التلميذ : (في خشوع) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . (.. الذين يَصُدُّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، وهم بالآخرة هم كافرون. أولئك لم يكونوا مُعجِزين في الأرض ، وما كان لهم من دونِ اللهِ مِن أوليـــاءَ ، يضاعفُ لهم لعذاب. ما كانوا يستطيعون السمعَ وما كانوا يُبصرون. أُولئك الذين خسِروا انفسَهم ، وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون . لا جَرَمَ أنهم في الآخرة هم الأخسرون . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم ، أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون . مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ ، والبصير والسميع .. هل يستويان مثلاً ؟.. أفلا تتذكرون !!) .

الشيخ : (في تأمل عميق) : مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ ، والبصير والسميع .. هل يستويان مثلاً ؟! . هـــل يستويان مثلاً ؟!.

التلميذ : كلاّ والله .. لا يستويان أبداً !..

الشيخ : ولماذا ؟.. هل أحطت بأسباب هذا التميز يا بنيّ ؟؟..

التلميذ: ما أحس هنا من غموض في صفات أي من الفريقين ..

الشيخ : حاول أن تلخص بإيجاز الأسباب التي باعدت بينهما .

التلميذ: أما فريق الكفر فلم يكتفِ برفض الإيمان ، حتى أخذ

يقاومُه ويُقصي الناس عنه ، فكان جزاؤهم العـذاب والخسران .. يقابلـُه الفريقُ الصالح الذي التزمَ سبيل الله ، ووقف عنـد حدوده ، فكان نصيبُه الخلود في الجنة . ولا تشابه بين الفريقين ، ولا وجه للمقـارنة بين المصيرين .

الشيخ : هذا تلخيص يعوزه الإنتباه الى الدقائق ..

التلميذ : وهـذا من اختصاص شيخي .. ومنه ألتمسُ كشفَه واستقصاءَه ..

الشيخ : أُولى صفات الفريق الكافر يا بني .. هل تذكر ما هي؟

التلميذ : نعم !.. أظنها الصدُّ عن سبيل الله ..

الشيخ : أحسنت .. إنها هي .. فبأي شيء تُحدِّدُ هذا الصدَّ يا بني ؟..

التلميذ: الصد هو مجرد المنع .. أليس كذلك !..

الشيخ : هو كذلك .. ولكن .. هل للمنع صورة واحدة ؟..

التلميذ : بالطبع .. لا .

الشيخ : فالمنع قد يكون باليد ، وقد يكون باللسان ، وقـد يكون بالجهر ، وقد يكون بالسر ..

التلميذ : لا جدال في هذا .

الشيخ : وقد رأيتَ ألواناً من هـذا المنع في موقف قريش من دعوة محمد ﷺ

التلميذ : أجل.. رأيت سياط التعذيب تنصبّ على ياسر وسميةَ

وبلالٍ وزِنيرَة وإخوانهم من المؤمنات والمؤمنين .

الشيخ : ولعلك لم تنس بعد تلك الألوان الأخرى من المنع تتجلى في دعاية أبي لهب ، وأبي جهـل ، والنضر بن الحارثِ الذي حاول صرفَ النـاس عن كتاب الله الى أساطير الأمم !.

التلميذ : ذلك الغويُّ الذي رَوَى اللهُ في القرآن العظيم قولَـه الوقح : (سأُنزل مثلَ ما أنزلَ الله) ؟.

الشيخ : هو نفسه .. ثم .. أتذكر موقفَ قريش من الأعشى بنِ قيس يوم قدِم هذا الشاعر مكة راغباً في الإسلام ؟.

التلميذ: ذلك الذي يقول عن ناقته ، وهو يمدح رسول الله :

فآليت لا أرثي لها من كلالةٍ
ولا من حفًى حتى تزور محمدا

نبيٌّ يرى ما لا ترون ، وذكرُه
أغار لعمري في البـلاد وأنجدا

الشيخ : ذاكرة مسعفة !.. فهل تذكر كيف صَدَّته قريش عن الإسلام ؟..

التلميذ: لا أستطيعُ نسيان تلك الوسيلة الخسيسة ، التي عَمَد إليهـا بعضُ المشركين يومذاك ، إذ اعترضوا طريقَ الشاعر يحاولون تنفيره من الإسلام بذكر ما يحرمه من الفجور والشرور ..

الشيخ : فكيف ردوه عن بغيته أخيراً ؟..

التلميذ: قالوا له : ولكن محمداً يحرِّم الخمر !..فأوجس المسكين خيفةً .. وقال : أما هذه فوالله إن في النفسِ منها لعُلالاتٍ ، ولكني منصرفٌ فأتروَّى منها عامي هذا ، ثم آتيه فأسلم !.

الشيخ : ولكنه لم يعد بعد ذلك !.

التلميذ : لأن الموت قد حال دون عودته ..

الشيخ : أرأيت إلى هذا الضرب من المكر !.. فماذا تسميه !.

التلميذ : لا شك أنه الصد عن سبيل الله ..

الشيخ : إذن فالصد عن سبيل الله لا يقتصر على التعذيب الجسديّ ، بل قد يستعين بالحيلة النفسية أكثر مما يستعين بالقوة !.

التلميذ: لا شك في ذلك .

الشيخ : ولنقل إن تعذيبَ المؤمنين هو أقلُّ وسائل المضللين جدوى عليهم ، إذ كثيراً ما يكون حافزاً لمضاعفة التصميم على التزام الطريق القويم !.

التلميذ : هذه حقيقة ملموسة في تاريخ الدعوات الإلهية كلها ..

الشيخ : أما الحيل النفسية ، ولنسمِّها بلغة العصر : (الدعاية السيكولوجية) فهي أشد الوسائل الابليسيَّةِ أثراً في القلوب الهشة ، والعقول الغضة،اذ سرعان ما تستهويها ببهرج القول ، فاذا هي مسلوبة الوعي ، يحركها المضللون حيث يشاؤون !.

التلميذ: هذه النماذج المشوّهة كثيراً ما نصطدم بها في حياتنا اليومية !.

الشيخ : تعبير موفق !. إنها النماذج المشوّهة .. ومن هذه النماذج تستطيع أن تفهم من الآية ما لم تفطن إليه من قبل ..

التلميذ: (في تأمل) : الذين يصُدون عن سبيل الله.. ويبغونها عوجاً .. وهم بالآخرة هم كافرون ..!

الشيخ : هنا خصائص ثلاث .. إحداها الصد عن سبيل الله..

التلميذ: وقد رأينا ضروبه المختلفة من جسدية وعقلية ..

الشيخ : ووراء ذلك ضروب أخرى لا تقع تحت حصر.. أهمُّها تحويلُ المجتمع الى سجن كبير ، يفرض على نزلائه ألاّ يقرؤوا إلا ما يكتبه سَجّانُهم ، ولا يأكلوا الا ما يُقدمه اليهم ، ولا يتحركوا إلا في الاتجاه الذي يحدده لهم !.

التلميذ: والغريب في أمر هذا السجان وزمرته أنهم لا يكتمون ما يُريدون !.. فهم يعلنون في كل مناسبة أنهم يستهدفون تفكيك بنيةِ المجتمع ، لاعادة بنائه على طريقتهم !..

الشيخ : طريقتهم الابليسيَّة ، التي يسمونها (العلمية) مبالغةً في التضليل !..

التلميذ : يا للـحصار الجهنّميّ !!..

الشيخ : وهم لا يكتفون من سجنائِهم بالسكوت .. حتى

يُكرهوهم على الهُتافِ بحياتِهم ، وتمجيدِ جهودِهم في سلخهم عن مقوِّماتهم !. والويل للذين يستنكفون عن الخضوع لهذا التخطيط الرهيب !؟!.

التلميذ : مهما يكن هـــذا الويل فهو أهون من قبول الهوان والكفران !

الشيخ : لو استعملتَ عينيك جيداً لرأيت أن من العذابَ الذي يُصبُّ على هؤلاء الضحايا ما لا يمكن تصورُه فضلاً عن تحمُّله !

التلميذ : لا أتصور في الوجود شيئاً في وسعه ان يحمِلَ المؤمن على الكفر .

الشيخ : يبدو لي أنك لم تسمع حتى الآن بالمحاكات المزيَّفة ولا بالتُّهم المزوَّرةوبالإقرارات المأخوذة تحت وقع السياط ونفخ الأحشاء ولذع الكهرباء !

التلميذ : سمعتُها ولكني لم أستطع تصديقَها .

الشيخ : من حقك ان تكذبها يا بني .. لأنك لا تعرف حقيقةَ أصحابِها ..

التلميذ: وهل تبلغ القسوة بانسان إلى هذا الحد !

الشيخ : هؤلاء يا بني انسلخوا من إنسانيتهم ، منذ كفروا بلقاء ربِّهم ، وبذلك كانوا على أتم الاستعـداد لكل كبيرة تحقق شهواتِهم !

التلميذ: لا أكاد أفهم مُرادَك .

الشيخ : فتذكر إذن أن إنكارَ البعث أهمُّ الأسباب في فقدان الشعور بالمسئولية ، لأن الكافر بلقـاءِ الله لا يستطيع ان يتصورَ أن وراء هذه الدنيا حساباً على أي تصرف.

التلميذ: الآن فهمت معنى قوله تعالى في وصفه ذلك الفريق (وهم بالآخرة هم كافرون) .

الشيخ : فضم إلى فهمِك الجديد أيضاً ملاحظةَ تكرار الضمير في هذا التعبير .. ثم سل نفسك عن مدلوله .

التلميذ: (في تأمل) (وهم بالآخرة هم كافرون) !.. لا شك أن في تكرار الضمير هنا تعميقاً لتوكيد هذه الصفة عليهم !.

الشيخ : كأن الله عز وجل ينبهنا إلى أن مجرد الصد عن سبيل الله ، وإيثار سبيل الشيطان عليها كافيـان لتلبيس أصحابها صفةَ الإنكار ليوم الدين ...

التلميذ: حتى ولو ادعوا أنهم صفوة المؤمنين !..

الشيخ : ولو توجوا جميع مقرراتِهم الظـالمة باسم الله الرحمن الرحيم !.

التلميذ: لقد اتضح لي حتى الآن كثير مما فاتني من صفات الفريق الكافر .. فهم مشوّهو الحقائق .. وهم المجردون من الشعور بالمسئوليات ، وهم الأخسرون يوم القيامة ... ولكن ..

الشيخ : لا بد من (لكن) ..! وما أنفعَها أحياناً !!..

التلميذ: ولكن .. الله ينفي عن هؤلاء القـــدرة على السمع ، ويثبتُ لهم العجزَ عن الإبصار ؟.. فأي ذنب على من لا يستطيع السمع ، إذا هو لم يسمع كلمةَ الحق ؟.. وأي تَبِعةٍ على فاقدِ البصر إذا عجز عن رؤية الحق .؟

الشيخ : لقد حدثتك في مجلس سابق أن إصرار هؤلاء وأمثالهم على تعطيل مواهبِهم الموصلة للحق قد جعلتهم في حكم المجرَّدين منها ..

التلميذ: نعم .. نعم ...

الشيخ : وهذا كقولك لمن لا تريد رؤيته : لا أستطيع أن أراك .. ولمن لا تودُّ الإصغاءَ اليه : لا أستطيع سماعك . فهل يعني أنك أعمى أصمّ !؟.

التلميذ: أبداً .. بل يعني أنني أنزلت نفسي منزلتهما بالنسبة إليه .

الشيخ : فما قولك إذن بمن أغلق سمعَه عن كلمة الله ، وعينه عن نورِ الله ؟!.

التلميذ: لا ينبغي أن يجدَ له حظاً في مغفرة الله ..

الشيخ : ولذلك استحقوا من ربهم مضاعفةَ العذاب ، وكانوا في زمرة الأخسرين .

التلميذ: فمن هـــذا القبيل إذن أولئك الآخرون ، الذين عَرَضَ الله وصفَهم في نهـــايات سورةِ الكهف بقوله الحكيم : (الذين كانت أعينهم في غِطاءٍ عن ذكري .. وكانوا لا يستطيعون سمعاً) !.

الشيخ : تماماً . فهل عرفت طبيعة هذا الغِطاء الذي يغلف أعينَهم ؟.

التلميذ: ما أحسبه إلا إصرارَهم كأولئك على منع نظرِهم من التأمل الواعي في آيات الله !..

الشيخ : هو ذاك ..

التلميذ: منذ الآن أراني على بصيرة من قوله تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها .. أولئك كالأنعام ، بل هم أضل .. أولئك هم الغافلون) .

الشيخ : فلنسألِ الله إذن أن يقينا شرهم ، ويجنبنا مصيرهم .

التلميذ: اللهم قِنا شر هؤلاء الضالين ..

الشيخ : آمين ..

التلميذ: وجنبنا مصيرهم المُهين ..

الشيخ : آمين ..

المآسي الكبيرة

الشيخ : السلام عليكم ..

التلميذ : (يسمع في غير انتباه) : (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد .. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ..)

الشيخ : أمر هام يشغلك عن رد السلام ..

التلميذ : نعم !! .. نعم !! .. الشيخ هنا !! ..

الشيخ : لم تشعر بحضوري ولا بسلامي !! ..

التلميذ : عفواً .. لم ألحظ أو دخولك .. ولم أسمع تحيتك .. وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

الشيخ : يبدو أنك كنت في خلوة مع كتاب الله .

التلميذ : مع سورة (البروج) بوجه خاص .

الشيخ : من حقها أن تشغل بهذه السورة عن كل ما حولك .. ففيها الكثير مما يشغل الذهن .. ويحرك القلب .

التلميذ : وقد هزتني بوجه أخص تلك المأساة الرهيبة ..

الشيخ : تعني قصة أهل الأخدود !..

التلميذ : أجل قصة أهل الأخدود .. إنَّني لم أعرف بعد شيئاً من أمرهم .. لكني أحس لدى تلاوة قصتهم أن ثمة مأساة من نوع فاجع ونادر !..

الشيخ : لولا رهبة الموقف لكان لي أن أضحك !..

التلميذ: من أي شيء ؟..

الشيخ : من قولك بأن هذه المأساة من نوع نادر !..

التلميذ: أليست هذه مأساة نادرة ؟..

الشيخ : أما أنها مأساة فنعم .. إنها لمأساة فاجعة ، ولكنها ليست نادرة المثال بين فواجع المؤمنين ..

التلميذ: لو تكرمت بإيضاح ما تريد ..

الشيخ : أُتلُ أولاً خبر الأخدود . لنكون على مشهد منه .

التلميذ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. «قُتل أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذي له ملك السموات والأرض .. والله على كل شيء شهيد ..)

الشيخ : سبحانه من شهيد !..

التلميذ: العزيز الحميد !..

الشيخ : ما هي الإنطباعات التي تركتها هذه الآيات في عقلك ؟.

التلميذ: إن هنا مجموعة من الأبرياء يزج بهم الغاشمون في حفر

مشحونة بالنار الموقدة !.

الشيخ : هذه خطوط سريعة عن المأساة ..

التلميذ: فليتفضل شيخي بتفصيل ما فات من هذه الخطوط ..

الشيخ : أرى أولاً أن تتبين شخصيتي الفريقين من أصحاب القصة ، ثم نحدد دور كل منهما في هذه المأساة ..

التلميذ: لا شك أن في هذا خيراً كثيراً .

الشيخ : لقد تعددت روايات المفسرين حول هذه القصة .. ولكنها تكاد تجمع على المعنى التالي : إن قوماً من نجران أنقذهم الله من الشرك برجل من الهداة ، وكانت اليهودية قد انتشرت في اليمن على أيدي بعض التبابعة ، حتى انتهى أمرها الى أحدهم ذي نواس ، فشق عليه أن يخالف هؤلاء عن أمره ، لذلك زحف اليهم بجنده ، ودعاهم الى اليهودية المحرفة ، ولما لم يجيبوه أعمل فيهم السيف والنار .

التلميذ : يا للمجرم !!..

الشيخ : هذه وقائع القصة .. ولكن وقائع القصة غير دروسها يا بني !..

التلميذ : وهذا ما أنتظر حديثه من شيخي ..

الشيخ : هذه الجريمة ، ألا تساءل عقلك عن دوافعها النفسية ؟..

التلميذ : لا أجد لها تفسيراً سوى ما سبق أن صورته لي في المجالس السابقة عن الصراع الأبدي بين فريقي الكفر والإيمان ..

الشيخ : ولعلك تذكر من أبعاد هذه المعركة أنها تختلف شدة وقسوة باختلاف خصائص المحاربين !..

التلميذ : ذلك أمر طبيعي ..

الشيخ : بقي أن تتذكر أن عدو المؤمنين يوم الأخدود كان يهودياً ..

التلميذ: لم أنس ذلك بعد ..

الشيخ : إذن فتذكر يا بني أن احترام الإنسان والرفق به لا يتفقان مع طبيعة النفس اليهودية ...

التلميذ : من هنا إذن جاءت فظاعة المأساة التي انتهى اليها أصحاب الأخدود !..

الشيخ : ومن هنا أيضاً جاءت فظاعة المآسي التي اقترفتها اليهودية في دير ياسين والطيرة ، وعشرات المواطن الأخرى من ربوع فلسطين الشهيدة ...

التلميذ: ما كان ينبغي لي أن أنسى تلك المذابح التي لم تجف دماؤها بعد !.. والحق انني لا أعرف لهذه الطبيعة اليهودية تعليلاً معقولاً ...

الشيخ : بعض الباحثين يرى أنها نوع من ردود الفعل لما أصاب القوم من ظلم الطغاة خلال التاريخ ، فهم حين يصبون بغيهم على الناس إنما يفعلون ذلك انتقاماً لما نالهم من الإضطهاد ..

التلميذ: ولكن هذا تعليل يحتاج الى تعليل .. فإذا كان بغيهم

على الناس نتيجة لبغي الناس عليهم ، فما السبب في إجماع الناس على اضطهادهم ؟...

الشيخ : إعتراض وجيه كنت أتوقعه منك . لهذا رأيت أن أضع بيديك على أهم الأسباب لهذا المركب اليهودي الخطر ..

التلميذ : لكم أنا متشوق الى معرفة ذلك ..

الشيخ : إذن فاعلم أن الدين اليهودي نفسه هو المصدر الأكبر لهذه القسوة الطاغية ..

التلميذ : الدين ؟؟؟..

الشيخ : أجل يا بني.. إنه الدين اليهودي.. الذي صنعه المضللون ، وقدموه لعامتهم على أنه وحي الله ؟..

التلميذ : (في تأمل) : (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ، ليشتروا به ثمنا قليلاً ..)

الشيخ : ذلك وصف الله لعمل أولئك المضللين .. وهو بعض ما انطوى عليه القرآن الحكيم من تحديد للطبيعة اليهودية في أحوالها المختلفة ..

التلميذ : ما أحوج المسلمين إلى دراسة هذه الطبيعة الخطرة ؟!..

الشيخ : بل قل: ما أحوج المسلمين لدراسة هذه الطبيعة من خلال تحديد القرآن لخصائصها ... ولو هم فعلوا لجنبوا أنفسهم الكثير من المآسي التي تصبها عليهم سياط اليهود من حيث يعلمون أو لا يعلمون ...

التلميذ: وأي مأساة أكبر من فاجعة المسلمين بفلسطين ؟..

الشيخ : لو علمت ما أعلم لأدركت أن فاجعتنا بفلسطين ليست سوى واحدة من عشرات ..

التلميذ: عشرات ؟..

الشيخ : أجل عشرات .. ولو شئت لرفعتها الى المئات ..

التلميذ: بعضَ التفصيل من فضلك ..

الشيخ : بدأت هذه الفواجع في دار الهجرة على يد بني قينقاع وقريظة والنضير .. وذلك بمحاولاتهم القضاء على الإسلام ونبيه، ثم بمحاولاتهم القضاء على الخلافة الراشدة باغتيال الفاروق ، ثم باغتيال ذي النورين .. ولما يئسوا من تحقيق أغراضهم الجهنمية عن هذا الطريق ، عمدوا الى عقائد العامة فأفسدوا منها ما أفسدوا.. وبذلك هدموا الوحدة ، وقسموا الأمة الى عشرات الفرق ..

التلميذ: وبأيدي هذه الفرق خربت البصرة ، واستبيحت بغداد أيام العباسيين ، وفاضت الأرض بدماء الملايين من ضحايا المسلمين .

الشيخ : وبهذه المعاول قضي على الخلافة وشرد أحفاد الفاتحين من فلسطين ، وحوصر الإسلام في افريقية ، واغتيل الشهيد أحمدو بللو ، وتفجرت جداول الدماء جديدة في اليمن الجريح ؟!..

التلميذ: ما كان أجهلني بهذه الحقائق ؟؟..

الشيخ : لست وحدك في هذا الجهل يا بني ... إن كثرة المسلمين لا يكادون يرون من الأحداث سوى ظواهرها القريبة، لذلك تراهم يصفقون حتى للأيدي التي وكل إليها تدميرهم ، وهم لا يعلمون ...

التلميذ: كأني بالشيخ يرد كلّ فواجع المسلمين في أيامنا هذه إلى هؤلاء اليهود ...

الشيخ : لا أحصر فواجع المسلمين باليهود وحدهم .. فهناك الصليبية ، وهناك الباطنية ، وهناك الإنحرافات التي ما تزال تعمل عملها في توهين الوجود الإسلامي منذ قرون، وأخيراً هناك الماركسية التي تتولى اليوم تحطيم البقية الباقية من قوة المسلمين .

التلميذ: فأين إذن موضع اليهودية من كل ذلك ؟..

الشيخ : إنها في موضع الموجه الذي يكتفي أحياناً برسم الخطط، ثم يدفع الآخرين إلى تنفيذها ..

التلميذ: إذا صح ذلك في جميع هذه الجوانب ، فما علاقة اليهودية مثلاً بالمذاهب الشيطانية التي تطارد الإسلام ودعاته في بعض الأقطار التي تسمي نفسها تقدمية ؟..

الشيخ : يا بني .. هذه المذاهب ليست سوى ستار للماركسية نفسها ... ولو استعملت عينيك جيداً لرأيت سحنتها الحمراء قد بدأت تتكشف من خلال البراقع القومية التي طالما تسترت بها ...

التلميذ: نعم .. نعم ..

الشيخ : وما أحسب مثلك يجهل أن الماركسية أحدثُ سموم اليهوديةِ العالمية ، وأشدُّها فتكاً في أمن البشرية ..

التلميذ: لا أجهل ذلك ..

الشيخ : وهكذا أراحت الماركسية أمها اليهودية من عناء كثير.. إذ وضعت معاول الهدم هذه المرة في أيدٍ تزعم الإسلام، فراحت هذه تنفذ مخططاتها في قلب العالم الإسلامي ، دون أن يرى الناسُ مَن وراءها ..

التلميذ: من أجـــل اليهودية إذن تسيل دماء المسلمين وينكل بدعاة الإسلام ؟..

الشيخ : ومن أجل اليهودية وحماية إسرائيل يطارَد المؤمنون ، وتمتلىء بالأحرار غياهب السجون ...

التلميذ: يا للمآسي الكبيرة !!..

الشيخ : أرأيت إذن كيف فقدت مأساة الأخدود ندرتهـا ؟ . أرأيت أن لها أشباهاً ونظائر لا تزال متواصلة الوجود حتى الآن ؟.

التلميذ: حقاً .. حقاً .. ولكن ..

الشيخ : لا تؤخر تتمة (لكن) ..

التلميذ: لكني حتى الآن لا أفهم سر الربط بين كل هذه المآسي وبين قوله تعالى : (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ..) ؟.. أفمن أجل الإيمان فقط ترتكب كل هذه الجرائم ؟..

الشيخ : ذلك موضوع له غير هذا المجلس ، لأنه يتصل بتوحيد
الربوبيـة والإلهية .. وحسبك الآن ما علمت من أن
أصحاب الأخدود لم يكونوا وحدهم ضحايا الإيمان .

التلميذ : ليت قومي جميعاً يعلمون هذا الذي علمت ..

الشيخ : ليطمئن قلبك .. فقد بدأوا يعلمون .. ولكن كل ما
نرجوه أن ينتفعوا بما يعلمون . أما الآن فاسأل الله
الرحمة والتثبيت لأولئك المعذّبين من الأولين والآخرين .

التلميذ : اللهم اغفر للسابقين ..

الشيخ : آمين .

التلميذ : وثبت على مرضاتك اللاحقين ..

الشيخ : آمين .. يا وليّ المؤمنين .. يا رب العالمين ..

لا إله إلا الله

الشيخ : لعلك أعددت موضوع اليوم .. أيها الفتى ؟..

التلميذ: سلّم الله الشيخ.. لقد أعفيتني من تحضيره منذ الجلسة الأخيرة .

الشيخ : لا بد أني نسيت . فهل لك أن تذكرني ؟

التلميذ: في حديث الشيخ عن أصحاب الأخدود وقفنا عندقوله تعالى «وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد» .

الشيخ : نعم .. نعم .. لقد تذكرت . سألتني يومئذ عن سر الربط بين مأساة المؤمنين وحصر السبب في إيمانهم بالله ..

التلميذ: هو كذلك .. وقد قلت لي : ذلك موضوع له غير هذا المجلس ، لأنه يتصل بتوحيد الربوبية والإلهية ..

الشيخ : فليكن مجلسنا اليوم حول هـذا المبدإ الذي به بُعث النبيون ، وإليه دعا المصلحون ، وفي سبيله يواجهون البلاء المبين ..

التلميذ : أما أن يكون مناط جهاد النبيين والمصلحين فلا شبهة في ذلك .. غير أني لا أفهم كيف يكون مجرد الإيمان بالله سبباً لكل هذه المآسي .

الشيخ : ستظل بعيداً عن فهم هذه الحقيقة ما دمت تتصور الإيمان مجرد ادّعاء أو كلام !.

التلميذ : لا أنكر عليك أنني لا أزال محدود العلم في هذا الشأن ..

الشيخ : ستزول عن عينيك كل غشاوة عندما تحسن التفكير في قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون !. »

التلميذ : (في تأمل خاشع) « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون !. »

الشيخ : فالإيمان يا بني إقتناع قلبي بحقيقة التوحيد، يبعث الأمن في أعماق صاحبه ، فيشعر أنه لا يستطيع الحياة بدونه لحظة ..

التلميذ : لا شك في ذلك .. إذ لا أمن للنفس بغير إيمان ..

الشيخ : ومجرد الإقتناع القلبي بهذه الحقيقة يضع صاحبه أمام التزامات لا مفرّ من تحقيقها البتة .

التلميذ : إلتزامات !!.

الشيخ : إلتزامات ضخمة تتفاوت أعباؤها تبعاً لتفاوت مواهب أصحابها وعزائمهم . فأيسرها أن يحقق المؤمن أركان الإسلام الأولى من صلاة وصيام وزكاة وحج ..

التلميذ : هذه أيسرها !!.

الشيخ : أجل .. أيسرها .. لأنها تكاليف يشترك في أدائها القويُّ والضعيف على سواء .

التلميذ : ثم ما وراء ذلك ؟..

الشيخ : وراء ذلك أن يجند المؤمن نفسه لإيصال هذه الحقيقة إلى كل إنسان ، وإشاعة ذلك النور في كل قلب ، ثم العمل على تكييف الحياة البشرية وفق النظام الرباني الذي لا سبيل غيره لإسعادها .. وكفى بهذا نضالاً يجرّ وراءه كل فتنة وبلاء .

التلميذ : لو تكرم فضيلة الشيخ بإيضاح المراد من «النظام الرباني» .

الشيخ : المراد بالنظام الرباني مجموع المقررات التي أوحى بها الله إلى رسله لسياسة الجنس البشري ، في أخلاقه ومعاملاته ومختلف نواحي سلوكه ..

التلميذ : حسناً .. فما علاقة ذلك بتوحيد الربوبية والإلهية ؟.

الشيخ : ألا تذكر حديثنا في أحد المجالس حول قوله تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .. »

التلميذ : وكيف أنساه وبه عرفت وحدة الدعوة الإلهية على ألسنة الرسل جميعاً !.

الشيخ : وأحسبك لا تنسى تحديد الآية للدعوة بأنها تجريد العبادة لله وحده ، مع اجتناب الخضوع لأية قوة أخرى ، سواء

كانت هذه القوة حجراً أو بشراً ، حاكماً أو قانوناً ، عادة أو تقليداً . .

التلميذ : وليس هذا مما يُنسى .

الشيخ : إذن فالإيمان بالله العزيز الحميد يقتضي التزام ما أمر واجتناب ما نهى ، ورفض كل توجيه يخالف عن أمره ، أياً كان مصدره .

التلميذ : من هنا كانت نقمة ذي نواس من أصحاب الأخدود ، إذ رأى قوماً يرفضون طاعته في معصية ربهم ، فاعتبرهم بذلك خطراً على سلطانه وكيانه ! .

الشيخ : تماماً كما يصنع طواغيت اليوم . . وعن طريق هذا الفهم السليم يا بني نطل على معنى الربوبية والإلهية وصلتهما بقضية المستضعفين من أهل الإيمان قديماً وحديثاً . .

التلميذ : ولكن الموضوع أكبر من قدرتي ، ولا بد من معونتك على إيضاحه .

الشيخ : فلنتعاون على ذلك . . ولنبدأ بمعنى « لا إله إلا الله » فإذا استطعت الإلمام به سهل عليك كل ما تريد .

التلميذ : ما أشوقني إلى ذلك ! .

الشيخ : هل تذكر مضمون الحوار الذي دار في مجلس أبي طالب ، بين رسول الله وصناديد قريش ، يوم ثقل المرض على عمه ؟

الشيخ : [illegible] رغبتهم في

مهادنته ﷺ ليمسكوا عن إيذائه وأصحابه ، مقابل أن يمسك هو عن دعوته ..

الشيخ : وماذا قال لهم رسول الله ساعتئذ ؟..

التلميذ : قال لهم : كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ..

الشيخ : وما هذه الكلمة العجيبة ؟!.

التلميذ : قال : تقولون « لا إله إلا الله ، وتخلعون من دونه .. »

الشيخ : نعمت الذاكرة !. فماذا كان جواب أبي جهل وعصبته ؟.

التلميذ : لقد رفضوا ، وأصروا ، واستكبروا استكباراً !..

الشيخ : وهل فكرت في سبب ذلك الرفض ؟.. مع علمك بأن القوم مقرون بوجود الله !.

التلميذ : بل إنهم مقرون بوحدانيته وملكيته لكل شيء ، حتى ليهتفون في طوافهم وفي حجهم « لبيك .. لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » !..

الشيخ : إذن فلا بد من سر وراء رفضهم ذاك !..

التلميذ: حتماً .. فما هو هو ذلك السر !.

الشيخ : إعلم يا بني أن القوم يدركون أن قبولهم لمبدإ التوحيد يلزمهم الإنسلاخ عن كل ما هم عليه من تقاليد تنحرف بهم عن سَنَن الوحي .

التلميذ: لا شك في هذا .

الشيخ : وفي مقدمة ذلك التخلي عن موروثاتهم من تقديس الآباء

وتقليد الشيوخ ، والتحكم غير المشروع في رقاب المستضعفين ..

التلميذ: لا مندوحة عن ذلك ..

الشيخ : وحصيلة هذا كله الخضوع المطلق لأمر الله ، بالوقوف مع المؤمنين جميعاً في صف العبودية الخالصة له وحده !.

التلميذ: لا ينبغي لعاقل أن يجهل هذا .

الشيخ : إذن فقد أدركت سر الربط بين إيمان أصحاب الأخدود والمصير الذي انتهوا إليه !..

التلميذ: أدركت هذا من قبل ، وأدركت معه سر المعارضة التي حفزت طواغيت قريش على تعذيب المؤمنين ، وفرعون موسى على التنكيل بالسحرة التائبين ، ومجرمي اليوم على الإيقاع بدعاة الإسلام ..

الشيخ : وإذن فقد فقهت معنى الربوبية والإلهية ...

التلميذ: وكيف ؟..

الشيخ : لأنك علمت بأن توحيد الربوبية منبثق من اقتناع الفطرة بكونها مملوكة لله وحده ، فليس فيها لأحد سواه من حق .

التلميذ: حقاً ..

الشيخ : وبذلك يفترق أمر المؤمن عن أمر الكافر ، إذ قد يشترك كلاهما في الإقرار بحق الربوبية لله ، ولكن المؤمن لا يتابع مخلوقاً على معصية سيده ، بينما الكافر ملق زمامه

لكل باغ يتوهم فيه خيال القوة !..

التلميذ : فإلى أمثال هؤلاء إذن يشير ربنا بقوله « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين .. » !

الشيخ : أجل .. لأن إيمانهم مقصور على الإقرار دون الطاعة . فهم مع الله بشعورهم الفطري ، ولكنهم مع أعدائه في سلوكهم العملي !

التلميذ: لأول مرة أفقه مدلول قوله تعالى « وكان الكافر على ربه ظهيرا .. »

الشيخ : بقي عليك أن تفقه الجانب الآخر من البحث .. وهو أن توحيد الإلهية نتيجة لازمة لتوحيد الربوبية ،وبقدر الإخلاص في العبودية ، يكون الإخلاص في العبادة ..

التلميذ: نعم .. نعم .. هـــذه حقائق يجب أن تكون من البديهيات ..

الشيخ : أما وقد بلغت هذا المدى من الفطنة فقد أصبحت قادراً على تصور المعنى الذي أراده رسول الله ﷺ عندمـــا جعل كلمة التوحيد مفتاحاً لملك العرب وانقياد العجم !.

التلميذ : أعترف بالعجز عن هذا التصور ..

الشيخ : لا بأس .. فلنحاول إستجلاء ما غمض من هذا الأمر . قل لي أولاً : هل تحقق وعد رسول الله للمؤمنين بملك العرب ؟..

التلميذ : إي والله .. وكان تحققه إحدى المعجزات النبوية ، إذ

جمع الله بأولئك المؤمنين شمل العرب حتى جعل من طاقاتهم المبددة أعظم قوة غيرت مسيرة التاريخ ..

الشيخ : أما كيف دان العجم لتلك الثلة المباركة ففي وسعك أن تستقرىء هذا المعنى بنفسك، إذا سألت أي أعجمي من المسلمين عن نظره إلى العرب ..

التلميذ: لقد أتيح لي سؤال الكثيرين من هؤلاء الإخوة ، فكان جوابهم واحداً هو : أنهم يقدسون العرب لأن أجدادهم هم الذين حملوا إليهم مشعل الإسلام ..

الشيخ : وهذا يعني أن العالم الإسلامي هو الحليف الطبيعي للعرب.. ما دام العرب مستمسكين بعروة هذا الدين.. فإذا تخلـّوا عنه انفض من حولهم ، فخسروا بذلك مكانة القيادة العالمية التي رشحهم لها الإسلام ..

التلميذ: وقد خسروها ويا للأسف !..

الشيخ : لا عجب في ذلك ، ولا عتب على القدر !.. إن هؤلاء الذين عزّوا بالإسلام وبه دخلوا أبواب التاريخ ، يأبى الكثيرون منهم اليوم إلا التنكر له والتباعد عنه !..

التلميذ : مساكين هؤلاء !!.

الشيخ : مساكين .. نعم .. مساكين !.. إنهم يزعمون العمل لمجد العرب ، ووحدة العرب ، وتقدم العرب ، وقد فاتهم أن العرب بالإسلام حققوا المجد ، وبالإسلام شيدوا الوحدة، وبالإسلام شقوا للبشرية طريق الحرية والتقدم !.

وكل انحراف عن سبيل الإسلام إنما هو انتكاس بالعرب إلى الفوضى والتمزق فالخذلان !..

التلميذ: وأي فوضى ، وأي تمزق ، وأي خذلان أسوأ مما انتهوا إليه !!.

الشيخ : أسوأ من ذلك كله يا بني أن يزج بهم تنكرهم للإسلام في كل هذه الرزايا، ثم لا يزيدهم الشقاء إلا إمعاناً في عقوقه، وإعراضاً عن طريقه !..

التلميذ: والأنكى من ذلك كله أن يألف هؤلاء ضلالهم حتى لا يزعجهم شيء مثل أن يرتفع صوت بالدعوة إلى الإسلام !.

الشيخ : ومع هذا لا يستحيون أن يضعوا أنفسهم علانية في خدمة أعداء الإسلام !..

التلميذ: اللهم عليك بهؤلاء الزائغين .

الشيخ : خير من ذلك يا بني أن تقول « اللهم اهدِ هؤلاء الضالين .. » .

السنن الحاسمة

التلميذ : السلام عليكم .

الشيخ : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، يبدو أن اليوم دورك في التأخر !

التلميذ : لعل فضيلة الشيخ يقدر عذري عندما يذكر أنني كنت مشغولاً بتحضير ما أمرني به .

الشيخ : تعني تتبع التذييلات القرآنية في نهايات الآي ؟.

التلميذ : أجل .. ولكنني لم أستطع إستيفاء هذه التذييلات جميعها ، فاقتصرت اليوم على أحد أقسامها .

الشيخ : يتعذر عليك استيفاؤها في أسبوع واحد ، فعلى أيها إقتصرت ؟.

التلميذ : على القسم الذي سميته (السنن الحاسمة) .

الشيخ : نِعِمّا فعلتَ أيها الفتى .. فاتلُه علينا .

التلميذ : سأتلو هذه الذيولَ مرتبةً حسب تتابع السور ومورد إسم الجلالةِ من الإعراب .

الشيخ : حسناً تصنع .

التلميذ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « والله لا يهدي القوم الظالمين ، والله لا يهدي القوم الكافرين ، والله لا يحب كل كفار أثيم ، والله لا يحب الظالمين ، والله لا يحب المفسدين ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ، إن الله لا يحب المعتدين ، إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ، وأن الله موهن كيد الكافرين ، إن الله لا يحب الخائنين، إن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين ، إن الله لا يحب المفسدين ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ..)

الشيخ : صدق الله العظيم .. وأحسن بما صنعت !. ولكن ، ألا ترى أنك تركت غير قليل من تذييلات هذا القسم ؟.

التلميذ : تلك مكررات باللفظ أو بالمعنى، وقد رأيت أن أكتفي من مجموعها ببعضها .

الشيخ : حسن .. غير أن هناك عدداً من التذييلات الإيجابية لم تعرض لها قط !.

التلميذ : لم أفهم مرادَك !.

الشيخ : الأمثلة التي تلوتها تعرض الجانب السلبي من هذه السنن

الإلهية .. وأعني الجانب الذي ينصبّ على تهديد المخالفين عن أمر الله .

التلميذ : نعم .. نعم ..

الشيخ : بقي الجانب المقابل ، الذي يعرض عواقب الصالحين ، وما أعدّ الله لهم وما وعدهم من رعايته ، وذلك في مثل قوله تعالى : « إن الله مع المتقين ، إن الله يحب المحسنين ، إن الله مع المؤمنين ، إن الله يحب المتقين ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم مُحسنون ، إن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم . إن الله لمع المحسنين .. »

التلميذ : لم أغفل عن هذا الجانب .. ولكن دوافع نفسية لا أدري سببها هي التي كانت تشدني بقوة إلى معاني الوعيد دون الوعد ..

الشيخ : لا لوم عليك ، فلا بدّ أنك كنت تقرأ هذه الآي وأنت مشحون الصدر بالألم من أولئك الطواغيت الذين يشوهون جمال الحياة ..

التلميذ : لقد وضعت يدك على السبب الذي لم أفطن إليه .

الشيخ : لا عجب ، فالإنسان يا بني يعيش تحت ضغط المؤثرات المختلفة ، وإنما يتذكّر من الأشياء ما هو أكثرُ صلة بتلك المؤثرات ..

التلميذ : إذن فمن حق كل مسلم أن يقف اليوم عند هذه النذر

الإلهية .. لأنه لا يستطيع عزل مشاعرّه عما حوله ..

الشيخ : معك حق ..

التلميذ : هؤلاء الذين يلقبهم الله بالمعتدين والخائنين والفاسقين والمفسدين ، والكذابين والظالمين والجبارين .. ألا تحس معي أن هذه النماذج الإبليسية أصبحت تملأ رؤوس الناس بأضاليلها الخبيثة !.

الشيخ : هــــذا صحيح ، وإنها لمحنة هائلة ، فاقت بأحابيلها ومغرياتها كل ما عرفه الأولون من أحابيل ومغريات .. ولكن ..

التلميذ : يسرني أن أسمع (لكن) من فم شيخي هذه المرة !.

الشيخ : ولكن (لا يغرنّـك تقلّـب الذين كفروا في البـلاد). وعليــــك أن ترجع إلى حكم القرآن العظيم عليهم وعلى أضاليلهم ، حتى تستبين أنهم ليسوا سوى فتنــة يَمتحن الله بها عباده ، ليعلم الذين صدقوا ، ويعلم الكاذبين ..

التلميذ : اللهم ثبتنا بالقول الثابت .. وعلمنا مــــا يعصمنا من شرهم ..

الشيخ : اللهم وبصّرنا بسننك الحــــاسمة في أولئك الظالمين .. وعواقبهم ..

التلميذ : لو تكرمت ببعض البيان عن هــذه السنن .. فما زلت أترقب بيانك عنها منــــذ صرفتَ عقلي إلى التأمل في

أعجاز بعض الآيات ..

الشيخ : من الخير أن تلخص لنا أولاً ما تذكره من ذلك الحديث .

التلميذ : لا أزال أتذكر ملاحظاتك الدقيقة حول الترابط العجيب بين كلٍ من هذه النهايات ، وصدر الآية المتصلة بها ..

الشيخ : ألا يحضرك بعض الأمثلة على ذلك ؟.

التلميذ : لاأنسى تفصيلاتك حول قوله تعالى: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » . فقد طالما طالعت هذه الآية من قبل ، فلم ألحظ ما فيها من أسرار الإعجاز ، حتى سمعت إشاراتك الحكيمة !.

الشيخ : إمضِ في كلامك .

التلميذ : لقد أريتني العلاقة البليغة بين إسمه تعالى (اللطيف) وبين عجز الأبصار عن إدراكه ، ثم بين إسمه (الخبير) وبين إدراكه هو للأبصار !.

الشيخ : ذلك يا بني أحد مظاهر الإعجاز البلاغي في هذا الضرب من التذييل .. أما التذييلات التي اقتصرتَ عليها اليوم فلها شأن آخر .

التلميذ : لذلك سميتها (السنن الحاسمة) !.

الشيخ : نعم ، وأقصد بذلك أنها نوع من القوانين الخلقية ،

تكشف لذوي البصائر قيمة هـــذه النماذج الإبليسية في ميزان العدالة الإلهية .

التلميذ : أتمنى من فضيلة الشيخ أن لا يدع أسلوبه الحكيم في الإستعانة بالأمثلة .

الشيخ : لنأخذ بعض هذه التذييلات كنماذج لسائرها، هناك عدة فقرات اشتركت في نفي الهداية عن أنواع من النـــاس ، أتذكرها ؟.

التلميذ : أجل .. فقد نفى الله هدايتـــه عن الظالمين والكافرين والفاسقين والخائنين والكاذبين والمسرفين . .

الشيخ : هؤلاء المُصِرون على معصية ربهم ُسلبوا نعمة الهداية ، فهم لا يعرفون الطريق إلى أي خيّر أو استقرار !

التلميذ : لا شك . .

الشيخ : وقصارى جهـــدهم أن يصرفوا طاقاتهم في محاولات لا محصول لها سوى مضاعفة الشقاء !.

التلميذ : ولكن ، لماذا وضع هؤلاء في مستوى واحد ، وصدر عليهم حكم واحد ، بينما هم متفاوتون في نوع الجريمة !.

الشيخ : لأن الإطار الذي يشمل كلهم واحد .. هو الزيغ عن سبيل الله ، والحكم بغير ما أنزل الله . .

التلميذ : (في تأمل) : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الفاسقون !. »

الشيخ : ولا تنس كذلك قوله تعالى: « إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون » .

التلميذ : نعم . نعم.. « إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون.. »

الشيخ : وأحب هنا أن أقف معك بوجه خاص عند قوله تعالى: « إن الله لايصلح عمـل المفسدين . » فماذا ترى في هذا الاخبار ؟

التلميذ : أرى قوماً مفسدين ، وكلهم الله الى انفسهم ، فلا أمل بصلاحهم !.

الشيخ : هذا بعض مضمون الآية .. فارفع البصر إلى التركيز على (عمل المفسدين) تَرَ جديداً لم تنتبه إليه ! .

التلميذ : (في تأمل) « إن الله لا يصلح عمل المفسدين » .

الشيخ : ألا ترى النفي منصباً على العملِ دون اصحابه ؟..

التلميذ : بالتأكيد ولكني لا أستبين الفرق بين الحالين ؟.

الشيخ : تذكر أن هؤلاء لم يستحقوا إســم المفسدين إلا لأنهم متعمدون للإفساد .. فليس لهم شفيع من حسن النية، ليقال إنهم أرادوا الخير فأخطأوا طريقه ؟.

التلميذ : حقيقة واضحة .

الشيخ : فإذا كان العمل حصيلة النية فلــن يكون إلا فاسداً بفسادها . وهكذا يأتي عمـل القوم صورة من طويتهم التي لا تقبل الإصلاح أبداً .

التلميذ : حقاً ..

الشيخ : وفي (النماذج الإبليسية) التي أشرت اليها من قبل بعض مؤكدات هذا الواقع يا بني .

التلميذ : بل أكبر المؤكدات ، إنهم كخائض الوحول في ظلمـة حالكة ، كل محاولة يبذلها للخروج منهـا تدفعه إلى أسفل !.

الشيخ : تماماً .. تماماً ..

التلميذ : ولكن هذا الفساد لا يقتصر على ُجناته ، بل إنه ليجر الوبال على الملايين من عبــاد الله .. فإلى متى يستمر هذا الليل ؟.

الشيخ : حتى تتحقق حكمة الله في الأرض يا بني، فيحيا من حيّ عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة .

التلميذ : حكمة الله !.

الشيخ : أجل حكمة الله التي قرنت النصر بالصـبر ، وجعلت العاقبة للمتقين .

التلميذ : لا مكان للريب في ذلك ، ولكن هذا لا يخفف من ألمي

على المؤمنين ، واستبطائي عقوبة الظالمين .

الشيخ : يا بني ، تذكر ذلك القانون الآخر « وأن الله مُوهنُ كيد الكافرين » .. فلقد يطغى جور هؤلاء حتى ينقطع الأمل من الجهد البشري .

التلميذ : نعم ، نعم ..

الشيخ : وهنالك يتنزل نصرُ الله من حيث لا يتوقع المظلومون.

التلميذ : وما أروعَ إشراقةَ الفجر بعد طول الظلام !.

الشيخ : المهم يا بني أن يظل المؤمنون في انسجام مع قول ربهم : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

التلميذ : اللهم اجعلنا من المتقين ..

الشيخ : ومن التقوى أن يستنفدَ المؤمنون مجهودهم في الإعداد لمواجهة أعداء الله ، قبل أن يتوقعوا نصره عليهم ..

التلميذ : لا بد من ذلك أولاً ..

الشيخ : وهكذا يتكشف لعقلك بعض كنوز هذه السنن الإلهية التي توليت أنت تحضيرها اليوم .

التلميذ : وما أحوج المسلمين إلى الإنتفاع بهذه الكنوز !.

الشيخ : وبخاصة في هذه الأيام التي مرجت فيها العقول ،

واختلت المقاييس ، وكادت (النماذج الإبليسية) تستحوذ على أزمة الجيل الإسلامي بأسره ..

التلميذ : لذلك أتمنى من فضيلة الشيخ لو يمضي في إيضاح بقية هذه السنن الربانية ..

الشيخ : ذلك فوق المستطاع يا بني ، وحسب حديث اليوم أن أن يأخذ بيدك إلى الطريق .

التلميذ : جزاك الله خيراً عن تلميذك ..

الشيخ : وجزاك عن حبك للحق والعلم كل خير ..

محمد رسول الله

الشيخ : ماذا في كراستك اليوم . أيها الفتى ؟ ..

التلميذ : آيات من كتاب الله .

الشيخ : لابد أنك وجدت فيها ما يهمك !..

التلميذ : ولذلك أثبتها في كراستي لأسألك عنها .

الشيخ : لعلّ الله يقودنا بها إلى خير جديد . فمن أي السور هي ؟.

التلميذ : من سورٍ عدة .. وقد لفت نظري منها تركيزها على فكرة واحدة ..

الشيخ : مثل هذا يكثر في القرآن العظيم عندما يكون المراد به تقرير أحد المبادىء الكبرى .. فاقرأ ..

التلميذ : (يتلو في أناة) «ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز

العظيم . يا أيها الذين آمنوا أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا . ومـــا أرسلنا من رسول إلا لِيطاعَ بإذن الله .. ومن يُطِع اللهَ والرسول فأولئك مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيين والصّديقين والشهداءِ والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً .. مَن يُطع الرسولَ فقد أطاع الله ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون .. قل أطيعوا الله والرسول ، فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حملتم ، وان تطيعوه تهتدوا .. وأطيعوا الرسول لعلكم تُفلحون ..»

الشيخ : اللهم استعمل جوارحنا في طاعتِك وطاعةِ نبيك..

التلميذ : آمين ...

الشيخ : لا بد أنك لاحظت في هــذه الآيات توكيدها على طاعة رسول الله !..

التلميذ : ذلك ما لفت انتباهي ..

الشيخ : من حقك أن تقف عند هذه المعاني طويلاً .. إن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى تجديد فهمهم لها ..

التلميذ : إلهامٌ داخليٌ يُوحي إليّ أن الموضوعَ على جانبٍ كبير من الأهمية .

الشيخ : لا مرية في ذلــــك . فالقضية قضيةُ موقفِ المسلم من رسولِ الله ، وفي الآياتِ التي تلوتَها تجريدٌ صريحٌ لهذا الموقف .

التلميذ : انها قضية الطاعة المطلقة لرسول الله ..

الشيخ : ذلك هو الإطار العام للموضوع . ولكن الاحاطةَ به تقتضي تفصيلاً لا مندوحةَ عنه ..

التلميذ : وهذا ما أتلهف لسماعه من شيخي ..

الشيخ : الانطباع الأول الذي تصبُّه الآيات في قلب المؤمن .. هو أن الفوزَ والهدايةَ والفلاح .. كل أولئك مرتبط بطاعة الرسول والانقيادِ لأمره ..

التلميذ : تماماً ..

الشيخ : وهــذا أمر يستوي في إدراكه القارئون على اختلاف سوياتهم العلمية ..

التلميذ : هذا ما أحسه ..

الشيخ : فلنجعل وقفتنا اذن على نقاطٍ محدودة من هذه التقريرات الالهية ، لنتعرفَ على ضوئها واقــع المسلمين ، والوسيلة الفضلى لمعالجةِ أرزائهم .

التلميذ : الأمر إليك فافعل ما تراه خيراً ..

الشيخ : الآية الثانية .. هل تذكرها ؟..

التلميذ : (يقرأ في أناة) « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمرِ منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .. ذلك خير وأحسن تأويلا .. »

الشيخ : هنا ثلاثة من أفعال الأمر .. هل لاحظتها ؟..

التلميذ : (في تأمل) « أطيعوا الله.. وأطيعوا الرسول .. ردّوه إلى الله ..

الشيخ : وهذه الأفعال مقيدة التنفيذ بشرط الإيمان ..

التلميذ : (متأملا) « إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ..

الشيخ : ثم حكم إلهي بأن ذلك خير ..

التلميذ : وأحسن تأويلا ..

الشيخ : فلننعم الفكر في كل عناصر الآية العظيمة هذه . فماذا نرى ؟..

التلميذ : نرى !!..

الشيخ : ما أحسب ذا عقل في البشر يرتابُ في وجوبِ الطاعة لله ! ..

التلميذ : أبداً ...

الشيخ : ولكن .. في أي شيء تجب هذه الطاعة ؟..

التلميذ : نعم !.. نعم !..

الشيخ : إن مجردَ الأمرِ بالطاعة يقتضي وجود شيءٍ سابقٍ للأمر هو موضعُ الطاعة والمعصية ..

التلميذ : لا شك في هذا .

الشيخ : هذا الشيء .. ما هو ؟!..

التلميذ : لا أراه إلاّ أوامرَ الله ونواهيه ..

الشيخ : أحسنت .. ولا يُتصوّر هنا غير أوامر الله ونواهيه.. ولكن .. أين هي ؟.. وما حدودها ؟ .. وما السبيل إلى معرفتها ؟؟!.

التلميذ : إنها .. إنها في كتاب الله ، وفي سنة رسوله ! ..

الشيخ : زادك الله هدًى أيها الفتى .. فنحن إذن بكتاب الله وسنة رسولهِ نعلمُ حدودَ ما يُريد الله من عباده !..

التلميذ : بكل تأكيد ..

الشيخ : وهذا يعني أن هناك طريقين لمعرفةِ الله . طريق العقل ، وبه نُدرك وجودَه تعالى وقدرته وحكمَته ورعايتَه .. ثم طريق الوحي الذي به نستبين صلتنا بهذا الخلاق العظيم ، ونحددُ سلوكنا بالنسبة إلى مخلوقاته ..

التلميذ : ولا سبيل إلى ذلك بغير الوحي .

الشيخ : فهل تصورت الآن معنى قول المسلم « أشهد أن محمداً رسول الله » ؟ ..

التلميذ : (متأملا) أشهد .. أن محمداً .. رسول الله !!..

الشيخ : يا بني هذه الشهادة التي تتحرك بها ألسنة الناس دون تفكير ولا تقدير .. انما هي إقرارٌ وعهدٌ .. إقرار بصدق هـذا المرسلِ من الله إلى الناس كافة .. ثم عهدٌ بالتزام سبيله في كل صغيرة و كبيرة من شؤون هذا الوجود..

التلميذ : إمْ .. مْ .. مْ .. فذلك إذن هو السر في إلزامنا طاعة رسول الله !..

الشيخ : هو ذاك .. وطاعةُ اللهِ ورسولهِ تقتضي الإحتكام إليه في كل نزاع يعترض المسلمين .. سواء كان هـذا النزاع بين فردين ، أو بين دولتين ..

التلميذ : حقيقة لا مرية فيها .

الشيخ : وعلى هؤلاء المتنازعين أن يستيقنوا أن ذلك الإحتكام إلى أمر الله ورسوله سيقودهم إلى أفضل الحلول ، وسيصير بهم إلى أحسن النتائج ..

التلميذ : ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون !..

الشيخ : بقيت ناحية أخرى من الآية كثيراً ما تدق على القارئين والمفكرين ..

التلميذ : وأين هي ؟..

الشيخ : في قوله تعالى « وأولي الأمر منكم » ..

التلميذ : (متأملا) « أطيعوا الله .. وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم .. » !

الشيخ : أنعِمِ النظر في الأمرين.. ترَ الاولَ ملزماً بطاعة الله، وأن الثاني ملزم بطاعة الرسول وأُولي الأمر معاً ..

التلميذ : نعم .. وماذا في هذا ؟!..

الشيخ : فيه أن كل مـــا يصدر عن رسول الله هو شرع ملزم للمسلمين ، فطاعته واجبة في كل أمر ونهي ..

التلميذ : لا جديد في ذلك ..

الشيخ : حسن .. ولكن الجديد أن طاعةَ أُولي الأمر واجبةٌ بالتبعية لرسول الله فحسب .. ذلك لأن الله لم يفردهم بأمر الطاعة ، فإذا شذّ أحدهم عـن طاعة الله ورسوله لم يبق له حق في طاعة أحد .

التلميذ : وهذا ما يجب أن يكون ..

الشيخ : أجل هذا مـــا يجب أن يكون ولكنَ الا يدهشكَ أن على الأرض ناساً يدّعون الإسلام ويرفضون حديث رسول الله !..

التلميذ : لا جرم أن هؤلاء هم الأخسرون ؟..

الشيخ : وأن هنـــاك شعوباً إسلامية عريقة تُحكم بقوانين الشيطان ، ثم لا تكاد تسمع فيها صوتاً يعترض هـــذا الطغيان ؟..

التلميذ : أجل والله إني لأعرف شعوباً يسوقهـا الغاصبون إلى قتال إخوتهـا ، وتدمير وجودها ، ثم يعلنون وقوفهم علانية في صف الشيوعية التي لا تخفي عداءها لجميـــع المقدسات الالهية ..

الشيخ : ومعذلك لا يستحيون من الزعم أنهم إنما ينفذون نظامَ الإسلام !!..

التلميذ : أنا لا ألوم هؤلاء الذين لا يجدون سوى قوى الإلحاد وأنظمة الإلحـــاد وسيلة لحماية حكمهم من السقوط على رؤوسهم .. ولكني أتساءل « أين علمـاء الاسلام ! .. أين ذوو الغيرة على الاسلام !.. »

الشيخ : إنهم يا بني في غمار المحنة .. بين سجين ودفين !..

التلميذ : ولعل قمة المأساة أن يحتل مكان أولئك العمالقة أقزام يبيعون دينهم بدنيا غيرهم ، فلا عمـــل لهم اليوم سوى إفراغ الشرعية على جرائم الظالمين !!..

الشيخ : تلك يا بني نتيجة الإنحراف عن قيادة النبيين !..

التلميذ : ويا َهول ِ النتيجة !.. ويالجناية المنحرفين !!..

الشيخ : ليت هؤلاء يتعظون بما جرّوا على أوطانهم وأمتهم من البلاء المبين !..

التلميذ : هيهات !.. « إنهـــا لا تعمى الأبصار ولكن تعمى

القلوب التي في الصدور » !..

الشيخ : اللهم احفظ قلوبنا من العمى ..

التلميذ : آمين ..

الشيخ : وعقولنا من الهوى ..

التلميذ : آمين ..

الشيخ : وارزقنا طاعة نبيك المصطفى ..

التلميذ : آمين .

الشيخ : آمين .. يا أرحم الراحمين !..

لعلّهم يرجعون

التلميذ : (يتلو في خشوع) : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : اللهُ الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم ، هل من شركائكم من يفعلُ من ذلكم من شيء .. !. سبحانه وتعالى عما يُشركون . ظَهرَ الفسادُ في البرّ والبحرِ بما كَسبَتْ أيدي الناس ، لِيُذيقَهم بعضَ الذي عملوا ، لعلّهم يَرجعون . قُل سيروا في الأرضِ فانظُروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلُ ، كان أكثرُهم مشركين . فأقمْ وجهَكَ لِلدينِ القيّمِ ، مِن قبلِ أن يأتيَ يومٌ لا مردّ له مِن اللهِ ، يَومئذٍ يَصّدّعون » .

الشيخ : إلهامٌ حيٌّ ذلك الذي يقودُك إلى هذا الإختيار .

التلميذ : ما أراه إلاّ قبَساً من روحِك .

الشيخ : لا بدَّ لي من سؤالِك أولاً : « كيف فصلْتَ هذه الآياتِ الأربعَ عما حولها من سورةِ الرُّوم ، مع أنها جزءٌ لا يتجزأُ من آياتٍ سبقتْها وآياتٍ لحقتها !.

التلميذ : لا أعرف بِمَ أُجيب على سؤالِ الشيخ .. ولكنَّ الذي أذكرهُ هو أنني وجدت فيها إيحاءً غير محدود ، هو الذي دفعني إلى إيثارها بالبحث .

الشيخ : حسناً .. ولكن من أجلِ استكمال الصُّورة الكليّةِ للمعنى العام أرى أن تقرأ علينا الآياتِ الثلاثَ التي سبقتْها أولاً .

التلميذ : (يقرأُ في خشوع) : « أولَمْ يَروا أن الله يبسُطُ الرِّزقَ لِمنْ يَشاءُ ويَقدِر !. إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِقومٍ يُؤمنون . فآتِ ذا القُربى حقَّه والمسكينَ وابنَ السبيلِ ، ذلك خيرٌ للذين يُريدون وجه اللهِ ، وأولئك هم المُفلِحون ، وما آتيتم من رِباً لِيربُوَ في أموالِ الناسِ فلا يَربُو عند اللهِ ، وما آتيتم من زكاةٍ تُريدون وجهَ اللهِ فأولئك هم المُضعِفون » .

الشيخ : اللهم اجعلنا من هؤلاء المؤمنين المفلحين المُضعِفين ..

التلميذ : آمين ..

الشيخ : الآن تستطيعُ الإطلالَ على مساحةٍ غيرِ يسيرة من الأفق المشرقِ الذي تفتحُه الآيات ..

التلميذ : سيكون لي من حكمةِ الشيخ خيرُ دليلٍ إلى هذا الخير الجزيل .

الشيخ : يا بنيَّ .. هنا تذكيرٌ بحقيقة كبيرة كثيراً ما يتناساها الإنسانُ .. وهي أنّ الرزق على اختلافِ أصنافِه مُقدّرٌ بحكمةِ الله ، يُوَسّعه على من يشاءُ من عبادِه ، ويضيِّقه على من يشاء ..

التلميذ : فلِمَ السعيُ إذن ؟.

الشيخ : لأنّ الذي قُدّر لك محجوبٌ عن ناظريك .. ولأنّ اللهَ عندما قدّر لك رزقك أودعك بواعثَ السعيِ لطلبهِ ، فلستَ قادراً على القعودِ قبل الوصول إليه !.

التلميذ : شيءٌ عجيب ، غير أنه معقول !.

الشيخ : فإذا علمتَ ذلك أيقنت يا بني أن الرزقَ فضلٌ من الله وضعه في يديك ، فليس لك أن تصرفه إلا في الوجوهِ التي أباحها لك ، أو أوجبها عليك ..

التلميذ : إمْ .. م .. لذلك عقّب على ذكرِ الرزقِ بإيجاب الإحسان إلى المستحقين من الأقربين والأبعدين ، وأكد أنّ الفَلاَح خاصٌ بالمؤْتين لهذا الحق .

الشيخ : ثم أتبع الإحسانَ بذكرِ الرّبا وعواقبه ، والزكاةِ ونتائجها ، فنفى عن الأولِ كل خير ، وأثبت للثانية

صفةَ النّماءِ التي تجعلُ النجاح من حظ" أصحابها وحدهم .

التلميذ : ولكن ..

الشيخ : أعلمُ أنك تستغربُ هـذا النوع من الحساب .. لأنك ترى المُرابي يستردُّ مئتهُ ومعها عشرة ، وترى المُحسنَ ينتقصُ من مالِه بقدر صدقته !.

التلميذ : نعم .. نعم !.

الشيخ : لكنّ هذه الزيادةَ التي يستولي عليها المرابون منتهية حتماً إلى تدمير الإقتصاد العام ..

التلميذ : تلك حقيقة يؤكدها خبراء الاقتصاد العالمي ..

الشيخ : هذا فضلاً عن الأحقاد التي يزرعها المرابون في صدور فرائسهم ، فتجعل المجتمع مهيئاً للإنفجار في كل لحظة .

التلميذ : إي والله !.

الشيخ : يقابل ذالك الزكاة ، ذلك الإحسان الذي كرّمه الله بهذا الإسم ، إذ جعله تزكية للنفسِ والمال معاً .. فقد حكم لأصحابه وحدهم بالربح المضاعف .

التلميذ : وكيف يكون نقصُ المال ربحاً ؟

الشيخ : الأمور بخواتيمها يا بنيّ ، فالزكاة مَنْقَصَةٌ للمال ولكنها مَجْلَبَةٌ للبركة ، والبركة سرٌّ من الله يجعل

في الدرهم الواحدِ من الخير والهنـــاءة ما لا تُوفره الدنانير !.

التلميذ : وهذه أيضاً حقيقة ، ما أكثر ما نواجهها !.

الشيخ : ناهيك يا بني بما يجلبُه الإحسان لصاحبه من محبةِ الناس وتقديرهم وثقتهم ..

التلميذ : وأيُّ سعادةٍ فوق هذه ؟.

الشيخ : وهنا يعود الباري جلّ وعلا ليذكّر عبـاده برعايته لهم ، فهـــو خالقهم وكافلهم ، ثم هو الذي يسلُبهم الوجودَ ، ثم يُعيدهم إلى الحياة ليكافئهم على صنيعهم ..

التلميذ : ولكن.. ما المناسبة بين هذه الرعاية وبين ذكر الشرك والشركاء ؟.

الشيخ : تذكّرْ يا بني أنك تلقـاءَ تنظيم إلهيّ لا سبيل غيرُه لتحقيق السلام في الأرض .

التلميذ : لا أشكُّ في هذا .

الشيخ : وأنّ كل شقاء يعتري الإنسانية مردُّه إلى انحرافها عن خطّ الهداية الإلهية .

التلميذ : ذلك قانون أشبعتَه درساً .

الشيخ : فاعلم إذن أنمن الشركاءِ أولئك الذين يتولّون تخريب ضمـائرِ البشر بالدعايات المضللةِ التي تصرفُهم عن نور

ربهم ، إلى الخضوع لأهواء المخرّبين !.

التلميذ : واأسفاه .. إنه الواقع الذي نعيشُه في هذه الأيام .

الشيخ : لذلك يُذكّر الله عباده بأن طاعتهم لأولئك المفسدين لا مسوّغَ لها إلا سفاهة أحلامِهم ، التي لا تُميِّزُ بين الخالقِ الذي بيده كلُّ شيء ، والمخلوقِ الذي لا يملك أيّ شيء !

التلميذ : سبحانه وتعالى عما يشركون !.

الشيخ : الآن تستطيعُ استشراف بقية المعاني الإلهية في الآيات التي تخيَّرتها ..

التلميذ : لا تدعني لعجزي ، فأنا لا أستطيع تَبيُّن الرباطَ الذي يجمعُ بين هذه المعاني ، وما يليها من ذكر الفسادِ ، والتزامِ الدِّين القيِّم !.

الشيخ : يا بني .. إن الفسادَ الذي ظهر ولا يزال يظهرُ في البرِ والبحر ، إنما هو الحصيلةُ العادلة لِزيغ البشرية عن النظام الإلهيّ ..

التلميذ : مزيداً من الإيضاح أيها الشيخ الحكيم .

الشيخ : ألا ترى كيف نسبَ الله ذلك الفساد إلى كسب الناس ؟

التلميذ : (في تأمل) : « .. لِيُذيقهم بعض الذي عمِلوا » .

الشيخ : ثم جعل غاية ذلك كله إيقاظ ضمائرهم للعودة إلى

الصراط السويّ .

التلميذ : (في تأمل) : « .. لعلّهم يرجعون » .. ولكن ، أتراهم يرجعون !.

الشيخ : النتيجة الطبيعية أن يرجع المذنب عن غيّه متى تبيّن له وجه الحق .. غير أن الذين غلبتْ عليهم شقوتُهم لا تزيدُهم المحنُ إلا إيغالاً في المعصية .

التلميذ : « .. وما تُغني الآياتُ والنذرُ عن قوم لا يؤمنون ! »

الشيخ : بقي عليك أن تُنعِم الفكر في خاتمةِ هذه الآيات .

التلميذ : (في خشوع) : « .. فأقمْ وجهك للدين القيّم » .

الشيخ : وهنا سأدع لك أن تُلخّص الأغراض الكبرى التي تستهدفها مجموعة الآيات .

التلميذ : أبرز هذه الأغراض فيما أرى توجيه البصائر إلى النظام الإلهي في الكون والرزق والتعاون الإجتماعي ، الكفيل بتحقيق السلام العام .

الشيخ : هذه واحدة .

التلميذ : ثم تجسيم عواقب الإنحراف عن ذلك النظام ، في ما يصير إليه المنحرفون من الفساد الشامل ..

الشيخ : وهذه ثانية ..

التلميذ : ثم التذكيرُ بماضي الأمم التي زاغتْ عن أمر الله ، لكي

نتجنب مصيرَها الرهيب .

الشيخ : وهذه ثالثة ..

التلميذ : وأخيراً توجيه المؤمنين بقيادة نبيِّهم إلى التزام المنهجِ الذي يَهـــدي أبداً للتي هي أقومُ .. وهو دينُ اللهِ الإسلام .

الشيخ : (في خشوع) : « .. ومَن يَبْتَـغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقبَلَ منه » .

التلميذ والشيخ : « وهو في الآخرة من الخاسرين » .

الشرف الباذخ

الشيخ : إيه يا بني ... ماذا تأبطتَ لنا اليوم ؟..
التلميذ : آياتٌ مِن سورة اليوم ..

الشيخ : من حق يوم الجمعة ان يُنَزّلَ الله باسمه سورة من كتابه الخالد .
التلميذ : كيف لا .. ما دام هو خيرَ يومٍ طلعت عليه الشمس ، كما ثبت في الخبر النبوي الصحيح ..

الشيخ : أُتل علينا مختاراتك من هذه السورة الجليلة ..
التلميذ : (في خشوع يقرأ) « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
بسم الله الرحمن الرحيم . يُسبحُ للهِ ما في السموات وما في الارض.. الملِكِ القُدُّوسِ العزيز الحكيم. هو الذي بعثَ في الأميين رسولاً منهم .. يتلو عليهم آياتِه ، ويُزكيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ ، وإن كانوا من

قبلُ لفي ضلالٍ مبين . وآخرين منهم لَمّا يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاءُ ، والله ذو الفضل العظيم ... »

الشيخ : اللهم .. إني أشهد بكل جوارحي أن كلَّ شيءٍ يُسبّحُ لجلالك .. فاكتبني مع الشاهدين ..

التلميذ : اللهم واكتبني مع شيخي من أهل اليقين ..

الشيخ : آمين .. والآن .. أنبئني يا بنيّ عن السر في إيثارك لهذه الآيات ؟

التلميذ : إنها كأخواتها المختارات .. لا أعلم لإيثارها سبباً إلا ما أحسه لها بين جوانحي من آثار لا أستطيع لها تفسيراً ولا تحديداً ..

الشيخ : من حقك أن تستشعر كل هذا الإيحاء بإزاء هذه الآيات .. فهنا معانٍ مثيرة ، تُصور إجماعَ العُلْويات والسُّفليات على تسبيح المَلِكِ القدوسِ العزيزِ الحكيم .

التلميذ : ألتمس من الشيخِ أولاً أن يُقرّبَ إلى ذهني موضوع هذا التسبيح !.. فأنا أفهمُ كيف يُسبحُ العقلاءُ والأحياءُ ولكني عاجزٌ عن تصورِ التسبيحِ الذي يَصدر عن الجمادات !

الشيخ : هل تذكر قوله تعالى : « ولِله يَسجدُ مَن في السماوات

والارضِ طوعاً وكرهاً وظلالُهم بالغدّوِ والآصال.. »

التلميذ : أذكر أنه في سورة « الرعد »، ولكن الكلام هنا عن السجودِ ، وهناك عن التسبيح . والساجدون هنا عقلاء أُشيرَ اليهم بـ (مَن) والتسبيح هناك من العقلاء وغيرهم اذ أُشير اليهم بـ (ما)

الشيخ : ملاحظاتك جيدة .. غير أنها قصيرة .. فالتسبيح في آيةِ الجمعة وغيرِها تعبيرٌ من هذه المخلوقات عن عبوديتها المطلقة لبارئها ..

التلميذ : حقاً ..

الشيخ : كذلك السجود في آية (الرعد) وأمثالها صورة أخرى من الإقرار الكامل بهذه العبودية ..

التلميذ : إيضاح شافٍ . بقي الكلام عن تسبيح الجمادات...

الشيخ : إن خالق الكائنات يقول : « وإنّ من شيء إلا يُسبحُ بحمدِه » ثم جمع بين تسبيح الرعد وتسبيح الملائكة بقوله : « ويسبح الرعدُ بحمدِه والملائكةُ من خيفتِه .. »

التلميذ : نعم .. نعم ..

الشيخ : فإذا كان باريء الوجودِ هو الذي يُخبر بتسبيحِ الوجود كله له ، فالتسبيح كائن حتماً.. إلا أننا لا نفقه لغات المسبحين كلهم !

التلميذ : (في تأمل) «.. ولكن لا تفقهون تسبيحهم ..»

الشيخ : ولا غرابة في شيء من ذلك .. فنحن لو سمعنا يابانيّاً

يتكلمُ لما اتضحَ لنا شيء مما يريد ، إلا أن يترجم لنا ، مَثَلَهُ في ذلك مثل صوتِ الرعد ، وحركةِ الريح ، ودوران الكهارب حول الذرة .. وما إلى ذلك من خصائص الكائنات ..

التلميذ : بدأتُ أعي ...

الشيخ : فاذكر مع هذا تقسيمَ الله سبحانه السجودَ إلى نوعين : طوعي وكَرهي ..

التلميذ : (في تأمل) « ولله يسجُدُ من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً .. »

الشيخ : ولقد فهم العلماءُ من هذا التقسيم لطائفَ دقيقة .. فقالوا : « إن الطوعيَّ هو الذي يَصدر عن حرية الإستجابة ، ويكاد يكون خاصاً بالعقلاءِ ، كالملائكة ومؤمني الآدميين والجن ..

التلميذ : حسن .. فما النوع الكرهيّ !..

الشيخ : يقولون إنه خضوعُ الموجوداتِ كافةً للتنظيم الإلهي ، دون أن يستطيع شيء فِكاكاً من سلطانه ..

التلميذ : مزيداً من البيان ..

الشيخ : هذه الحركةُ في رئتيك ، وهما يمتصان الأكسجين وينفثان الكربون ، وهذا القبضُ والبسطُ المستمران في قلبك ،

وهو يأخذ الدم ويدفعُه .. هـــل لك من يدٍ في شيء منـــه ؟..

التلميذ : أبداً .. أبداً ..

الشيخ : وهكذا القولُ في حركة الشمس ، وسيرِ الكواكب ، وتنفس النبات ، وفعلِ الجاذبية ، وما لا يُحصى من مظاهرِ السُّننِ الكونية في العُلويات والسُفليات .. إن هذا كله يا بني تمجيدٌ إجباري تقدمه هذه الخـلائق لصانِعها الحكيم .

التلميذ : سبحانه .. سبحانه ..

الشيخ : ولعل أدهشَ ما في هـذا النوع من التمجيد الكَرهي أن يستوي فيـــه المؤمنُ والكافر ، والبَرُّ والفاجر ، فكلا الفريقين خاضعٌ لربه ، مسبحٌ لجلاله شاء ذلك أو أباه ! ..

التلميذ : يا لها من آية !...

الشيخ : آية .. لِمَن ألقى السمعَ وهو شهيد ..

التلميذ : سؤالٌ آخر .. ألتمسُ من الشيخ جوابَه ..

الشيخ : لا تؤخر سؤالك .

التلميذ : إن أسماء ربنا كثيرة .. فما السرُّ في ختمهِ الآيةَ الأولى من سورة الجمعة بتلك الأربعةِ من أسمائه الحسنى . ؟

الشيخ : الملكِ .. القدوسِ .. العزيز .. الحكيم ..

التلميذ : نعم .. نعم .. أليس وراء ذلك معنى خاص ؟..

الشيخ : توقعك في محله .. ولو أنت لاحظتَ الصلة بين معنى كل آيةٍ وَالإسم الجليل الذي يُذكر معها لرأيت عجباً من التساوق والانسجام ..

التلميذ : لو تكرمت فأوضحت إذن وجه التناسب في هذه الآية ..

الشيخ : تذكر يا بني أن اجماع الكائنات على تمجيد الله إنما جاء من كونهِ هو مُبدِعَها ، المالكَ لأ زمَّتها المتصرفَ الوحيدَ في شئونها ..

التلميذ : ذلك تفسير (المَلِك) .. أول الاسماء الاربعة .

الشيخ : أما القُدُّوس .. فهو الكاملُ المنزَّهُ عن كل نقيصةٍ .. وبهذا فهو أهل لكل تمجيد وتحميد .

التلميذ : سبحانه وتعالى ..

الشيخ : وفي ذكر (العزيز) بعد ذلك إشارة إلى سلطانه الشامل لكل شيء ، فلا يُعجزُه الإنتقامُ من أي مخالف عن أمره .

التلميذ: لا جدال في ذلك .. فإن العزةَ للهِ ..

الشيخ : ثم تأتي صفةُ الحكمةِ ليذكرَنا سبحانه بأن جميع تصرفاتِه في هذا الكون قائمة على أساس الكمال

اللائقِ بجلاله .

التلميذ : وكيفَ لا يُسبِّحُ له كل شيء وهو المَلِكُ القدوسُ العزيزُ الحكيم !

الشيخ : بقي أن نسأل يا بني عن وجه الترابط بين هذه المقدمة العظيمةِ ، وبين ما يليها من وصفٍ لرسالةِ محمد (ﷺ) ومهمتها في العالم الإنساني !

التلميذ: (في تأمل عميق) « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويُعلّمُهُم الكتابَ والحكمة .. »

الشيخ : ههنا يا بني توجيهٌ عميق .. يؤكّدُ لِذوي القلوبِ السليمة أن رسالةَ محمد(ﷺ)ذاتَ صلة وثيقةٍ بالتنظيمِ الكوني العام ..

التلميذ: لم أفهم مراد الشيخ !...

الشيخ : أريد يا بني ان أذكرك بأن اللهَ الذي أبدع الموجودات الكونيةَ لتسبيحهِ وتمجيده ، قد أنزل وحيَه على نبيهِ الأمي (ﷺ) ليقودَ الخطى الانسانيةَ الضالةَ إلى الإنسجام مع هذه الموجودات في تمجيد الخلاق الحكيم ..

التلميذ: ولكنّ الله يقصرُ الكلامَ هنا على العرب الذين قُصِدَ

اليهم بلفظ الأميين .. فما شأن النـــاس الآخرين بالموضوع !

الشيخ : حسناً .. ان الله يَمُنُّ على العربِ بأن جعلَهم الوسط الأول لبعثة هذا الرسول الكريم .. وكلفه تربيتَهم على روح الاسلام ، حتى يَصلحوا للنهوضِ بأمانتـــه في هداية البشرية ...

التلميذ: لا شك في ذلك .

الشيخ : وقـــد وصفهم بالأميين لِيذكرَنا كذلك بقدرتهِ التي كَوَّنت من خامات الجاهلية الجهلاء خير أمة أُخرجت للناس .

التلميذ: يا لها من معجزة كبيرة .

الشيخ : بل قل « يا له من شرف باذخ ، أن يَعهدَ اللهُ بأمانتهِ العظمى إلى هـــذه القبائلِ الضالّةِ المتناحرة ، فيُخرجَها من الظلماتِ إلى النور ، ويبوئَها عرشَ القيادةِ العالمية ! »

التلميذ: يا له من شرف باذخ !..

الشيخ : يا بني .. إنه الشرف الذي تقرؤه في قولهِ تعالى (لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكرُكم .. أفلا تعقلون !)

التلميذ: وأي ذكرٍ للعربِ أفخمُ من ان يَقترن اسمُهم برسالة الإسلام !

الشيخ : والآن نتذكر أن هـــذا الاسلام دعوة الله ، لا يملكها أحد ، ولا تحتكرها أمة .. أخرج الله بها العرب من قوقعة العصبية إلى رحـــاب الإنسانية .. فهم أحق بشرفها ما داموا في خدمتها ، فاذا تخلوا عنها كان كل آخذ بها أحق بذلك الشرف منهم .

التلميذ : كأني بالشيخ الفاضل يردد قول أمـير المؤمنين عمر بن الخطاب « نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ، ومهما نبتغ العزة بغيره أذلنا الله .. »

الشيخ : رضي الله عن الفاروق ..إنه حين أرسل كلمته كان ينظر إلى هذه الحقيقة الضخمة بنور الله .. فاسأل ربك من هذا النور يا بني ..

التلميذ: اللهم اسألك لي ولشيخي من هـذا النور ما يعيننا على فهم وحيك ...

الشيخ : اللهم آمينَ .. وفي ظل هذا النور ستدُرِكُ يا بني معنى قوله تعالى (وآخرين منهم َلمَّا يلحقوا بهـــم ، وهو العزيزُ الحكيم ..)

التلميذ: كنتُ والله على وشك أن أسألك عن هؤلاء الآخرين ..

الشيخ : إنهم يا بنيَّ جميعُ الافرادِ والاَقوامِ الذين كَتَبَ اللهُ لهم الهدايةَ إلى هذا النور .. منـذ الصدر الأول حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

التلميذ : وهكذا يجمع اللهُ العربَ والعجم على أخـُوَّة الاسلامِ ، فلا يبقى لِعربيٍّ على أعجميٍّ ، ولا أبيضَ على أسودَ فضل إلا بالتقوى ..

الشيخ : ذلك يا بني فضل الله .. يؤتيه من يشاء .

الشيخ والتلميذ : (في أناة) « وهو ذو الفضل العظيم ... » !

* * *

ولعلهم يتقون

الشيخ : إقرأ .. إقرأ يا بني ما أعددته لهذا المجلس .

التلميذ : (يقرأ في خشوع) « أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم . واتقوا فتنةً لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصةً ، واعلموا أن اللهَ شديدُ العقاب ... »

الشيخ : نعوذ بالله من الفتنة وعقابها .. أتمِمْ يا بني ..

التلميذ: (يتابع في خشوع) « وليَحمِلُنّ أثقالهم ، وأثقالاً مع أثقالهم ، وليُسألُنّ يومَ القيامةِ عما كانوا يفترون) .

الشيخ : تلك هي العدالة .. أتمِمْ .

التلميذ: (يقرأ في جهارة وخشوع) « يا أيها الذين آمنوا..عليكم أنفسَكم ، لا يَضُرُّكم منَ ضلّ إذا اهتديتم .. إلى الله مرجعُكمُ جميعاً ، فينبئُكم بما كنتم تعملون . »

الشيخ : ذلك تخفيفٌ من فضل الله .. فلله الحمد ..

التلميذ: (في جهارة وخشوع) « من اهتدى فإنمـــا يهتدي لنفسه ، ومن ضلَّ فإنما يَضلُّ عليها ، ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أُخرى. وما كنا معذِّبين حتى نبعثَ رسولاً ..)

الشيخ : سبحانك .. ولو شئتَ لعذبتَ ولا عتب ..

التلميذ: ولكن ..

الشيخ : أكادُ أعرفُ ما تريدُ ب (لكنّ) هذه !

التلميذ: لا غرابةَ في ذلك إن المؤمن ينظرُ بنور الله .

الشيخ : لاحظتُ مرادَك من نوع اختيارك .. فالآيات من عدة سور . وجمُعك بينَها على هـذا الوجه نتيجةُ إشكالٍ عقْلي ..

التلميذ: هو كذلك .. ألا ترى معي في أحكام الآيات مـــا قد يوُهم التباين ؟

الشيخ : تباين !. وكيف ؟..

التلميذ : ألا ترى أن عقوبة الفتنةِ لا تقتصرُ على الظالمِ وحدَه ، بل تشمل المظلوم ؟!.

الشيخ : بلى !..

التلميذ: وأن هناك ناساً لا يُكتفى منهم بالمعاقبةِ على ذنوبِهم ، بل يكلفون أن يحملوا من ذنوب غيرهم أيضاً !.

الشيخ : لا شك في ذلك .

التلميذ: يقابل هذا الحكمَ في الآيتين الأوليين حكمٌ معاكس تماماً فيما بعدهما !.

الشيخ : معاكس !.

التلميذ: وكيف لا يكون معاكساً .. وهو يؤكدُ ان كل نفسٍ لا تحمِلُ غيرَ وزرها ..

الشيخ : لو أحطتَ بالموضوع من جانبيه لاختلف نظرك إليه ..

التلميذ: يبدو أنني عاجز عن هذه الإحاطة .. فلم يبقَ سوى معونتك .

الشيخ : أرجو أن أكون عند حسن َظنِّك ، َفلْنحصرْ نظرنا الآن في مضمون القسم الأول ، هنا عقوبةٌ تشمل الظالم والمظلوم .. أليس كذلك !..

التلميذ : نعم .. نعم !.

الشيخ : فلنتذكر إذن أن الناس لا يخرجون أبـــداً عن إثنين ظالمٍ ومظلوم ..

التلميذ: هذه طبيعة المعركة .

الشيخ : ومتى يصير الإنسان ظالماً ؟..

التلميذ : إذا فسد تصوره ، ولم يجد من يزجره !

الشيخ : منطق سليم .. أما فساد التصور فمرده إلى طغيان

الشهوات ، شهوة التسلط ، شهوة القهر ، شهوة المال شهوة الجنس .. إلى آخر هذه السلسلة الشيطانية ..

التلميذ: حقيقة ملموسة .

الشيخ : والطغيان خَطر في كل شيء ، حتى في الماء الذي هو مادة الحياة .. فاذا تُرك للسيل أن يطغى أهلك الزرعَ والضرع، ولو تُرك للبحر أن يسترسلَ فيَ مَدِّه لأغرق اليابسة كلها .

التلميذ : من أجل ذلك تُقام السدودُ في وجه المدّ والسيل .

الشيخ : وهكذا شأن الطغيان البشري لابد من إقامة الحواجز في طريقه ، لئلا يُفسِد على الابرياءِ حياتَهم، فيستحيلَ التخلصُ من شره !.

التلميذ : حقاً ..

الشيخ : ولكن .. من الذي يتولىّ هذه المهمة .. مهمة ردع الطغيان !..

التلميذ: العلماء والمفكرون ومن ورائهم العامة طبعاً ..

الشيخ : حسناً . فاذا جَبُنَ العلماءُ والمفكرون ، وقال كلٌّ منهم « ربّ نفسي !.. »

التلميذ: إذا فعلوا ذلك كانوا هم المسئولين عن كل ما يَنزلُ في مُجتمَعهم من الكوارث ..

الشيخ : فأنت إذن تُقِرُّ بأنّ الساكتين عن الظلم ، المتهاونين في

مطـــاردتِه .. يُعتبرون مسئولين عن استفحاله في النهاية !..

التلميذ : ومن ينكر هذه الحقيقة !..

الشيخ : فهـــل أدركتَ الآن كيف يشتركُ المظلومون في عقوبة الفتنة !..

التلميذ : كلَّ الإدراك ..

الشيخ : وهل تبينْت عدالة العقوبة المزدوجة.. في حمل أولئك الباغين أثقالَهم وأثقالاً مع أثقالهم !..

التلميذ: هذا ما لم تُشِرْ إليه في حديثِ اليوم ..

الشيخ : ولكني أشرت إليه في مجلس سابق .. حين حدثتُك عن جرائم الطواغيت الذين يُضَلّـلِون العامة بمـــا يغمرونهم به من مَكر الليل والنهار .

التلميذ: نعم .. نعم .. إنهم والله لجديرون بمضاعفة العذاب ..

الشيخ : هناك صنف آخر من الناس لا يَحسنُ بك جَهْلُهُمْ ..

التلميذ: صنف آخر !..

الشيخ : بلى .. إنهم علماءُ .. لا يألون جهداً في الوعظ والإرشاد والتذكير ...

التلميذ: نِعمَ القومُ هم إذن ..

الشيخ : لا تَعجلْ يا بني .. فستندَم على مدحِهم إذا علمتَ أنهم لا يتجاوزون في ذلك كلّه حدودَ الكلام ...

التلميذ: وماذا عليهم أن يعملوا غير الكلام !.

الشيخ : عليهم بالأقل ان يقاطعوا أولئك المضللين الحائدين عن سبيل الله .. أمـــا هولاء الذين ألـفِتُكَ اليهم فهم الذين يدعمون وجود البُغاة .. ويُغرون العامـــة بالهتاف للطواغيت !

التلميذ: وكيف ... أكاد لا افهم إشاراتِك اليوم .

الشيخ : إسمع ألا تعرفُ أُولئك العلماءَ الرسميين، الذين لايفتئون يتحدثون عن الإسلام ، فاذا آنسوا ميلاً من طواغيتِهم إلى إلغاء الاسلام ، اعتبروا ذلك الإلغـــاء هو عينُ الإسلام !

التلميذ: أعرفهم !.. إي والله .. إنهم أولئك الذين لا عملَ لهم اليومَ سوى إصدار الفتاوى بتجريمِ المؤمنين ، وتبرئةِ المجرمين ..

الشيخ : لقد حدثنا رسولُ الله (ﷺ) عن علماءَ من بني إسرائيل لم يكونوا لِيقصروا في تأنيبِ العصاةِ وتـذكيرِهم .. ولكنهم كانوا يعظونهم ويجالسونهم ، فاستحقوا بذلك مشاركتَهم في العذاب ...

التلميذ: نعم .. نعم ..

الشيخ : فكيف بهؤلاء العلماءِ وقد تجاوزوا حدّ المجالسة ، إلى التأييد والتصفيقِ حتى فقـــدوا احترام طواغيتِهم

أنفسهم !.

التلميذ: يا للـهوان ...

الشيخ : ألم تسمعْ أحدَ اولئك الطواغيت يِعلنُ على الدنيا أن القوم تـُجّارُ فتــاوى ، وأنهم مستعدون لاصدارِ أخطرها بملء بطونهم من الفراخ ..

التلميذ: إي والله لقد سمعتُ ذلك وقرأتُ عنـه .. ولكنْ .. ذروةُ المأساةِ ان لا يبقى هناك من العلماء سوى أمثال هؤلاء ..

الشيخ : كلا يا بني . كلا .. إن أحرار العلماء لا يزالون كثيرين بفضل الله ، وهم أبداً بالمرصادِ لكل انحرافٍ مهما يكن مصدره .

التلميذ: ولكننا لا نسمع أصوات هؤلاء الأحرار ...

الشيخ : ذلك لأن وسائل الإعلام في أيدي الغاصبين ، فلا يصل إلى سمعِك إلاّ مـــا ارتضوه من أصوات المدِلّسين والمدجّلين ..

التلميذ: إذن فعلام يُهلكُ هـــؤلاء الأحرار انفسَهم في صُراخٍ لا جدوى منه ، ولا مردودَ له سوى التنكيلِ بهم ، والتضييقِ عليهم ...

الشيخ : يا بني ... ألم تقرأ في كتاب الله قصةَ اولئك الصالحين من المفكرين ، الذين ما انقطعوا عن موعظةِ الظالمين ،

على الرغم من إعراضهم عن الموعظـــة ، وإصرارهم على المعصية ؟.

التلميذ: تعني أولئك الذين قال لهم اخوانهم: « لِمَ تعظون قوماً اللهُ مهلكهُم ... »

الشيخ : أجل .. فماذا كان جوابهُم لأولئك المؤمنين اليائسين ؟.

التلميذ: قالوا : «معذرةً إلى ربكم .. ولعلهم يتقون » .

الشيخ : يا بني تلك هي القاعـــدةُ الخالدةُ في أَعمال العلماء العاملين .. إنهم أبداً ماضون في جهادهم ، لا تصدُّهم النوائبُ مهما تعاظمت ، ولا تصرفهم المصائب عـن واجبهم مهما تفاقمت .

التلميذ: ومع ذلك ...

الشيخ : ماذا ؟..

التلميذ: مع ذلك .. كثيراً مـا تنزل عقوبـة الظالمين ، فتشمل بالبلاء حتى هؤلاء الصالحين ..

الشيخ : وأي عجب في ذلك ؟..

التلميذ: لا أقول عجب .. ولكنه غموض لابد من جلائه .

الشيخ : حسناً .. وستجد هذا الجلاء في الحديث المتفق عليه ، الذي حفظته أمس . فاقرأه على رواية البخاري .

التلميذ: (في هدوء) « عن عائشة (رض) أن رسول الله(ﷺ) قال : « يغزو جيشٌ الكعبةَ ، فإذا كانوا ببيداءَ من

الارض يُخسف بأولهم وآخرهم . قالت : « قلت يا رسول الله .. كيف يُخسف بأولِهم وآخرِهم وفيهم أسواقهم ومَن ليس منهم ؟! قال : « يُخسف بأولهم وآخرهم .. ثم يُبعثون على نياتهم .. »

الشيخ : صدق الرسول الأمين .. أرأيت يا بني !.. إن الكارثة قد تنزل عامة فتجتاح البريء والأثيم ، وإنما تقع التصفية في الآخرة .. هؤلاء إلى جنة ، وهؤلاء إلى سعير !...

التلميذ: (في خشوع) .. « واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن اللهَ شديدُ العقاب .. »

الشيخ : اللهم قِنا الفتن .. ولا تجعلنا مع القوم الظالمين !..

التلميذ : آمين .. آمين ...

عناية الله

التلميذ : (يدخل لاهثاً من التعب) السلام عليكم ..

الشيخ : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. أبطأت يا بني حتى كدت أيأس من قدومك اليوم .

التلميذ: أوه !.. هكذا قدَّر الله ..

الشيخ : ما دام تأخرك متعلقاً بقدر الله فلا بد أن يكون خيراً.

التلميذ: خيراً !.. ربما .. « وإني لا أدري أشرٌّ أُريدَ بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً !.. »

الشيخ : ما دمنا نجهل الغيب فلنثق بحكمة الله ، ولنتوقع دائماً رحمته ..

التلميذ : لا بد من ذلك.. ولكن الغيبَ هو الغيب . فقد يكون فيه الخير وقد يكون فيه الشر .

الشيخ : هذا صحيح .. غير أن المؤمن مطمئن دائماً إلى أن ربه لايقضي له إلاّ خيراً..

التلميذ: لو تكرمت فزدت هذا بياناً ..

الشيخ : إسمع يا بني واحفظ .. روى مسلم في صحيحه عن صهيب عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «عجباً لأمر المؤمن .. إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن .. »

التلميذ : (في أناة وتأمل) « عجباً لأمر المؤمن .. إن أمره كلّه له خير !.. إن أمرَه كله له خير ... »

الشيخ : أرأيت .. إنها ميزة خاصة بالمؤمنين ، بشهادة الصادقِ الأمين ...

التلميذ : حقاً .. ولكن ...

الشيخ : هل في هذا من غموض ؟.

التلميذ : أبداً .. ولكن.. لابد من التساؤل « لماذا تقع المصَائب بالمؤمنين ؟. أليست المصيبةُ شرّاً ؟

الشيخ : ومن أدراك أن المصيبة دائماً شر ..

التلميذ : الخلل الذي أصاب سيارتي مثلاً .. وما سيجرُّه عليَّ من تكاليفَ وقلقٍ .. أيُّ خيرٍ هو ؟

الشيخ : كان عليَّ أن أُدركَ من مطالع حديثك أن هناك مشكلة تسيطر على تفكيرك ..

التلميذ . مشكلتي كغيرها من مشاكل الناس اليومية .. وكلهم يتساءلون مثلي ، عما إذا كانت هذه المشاكل خيراً أم شراً ؟.

الشيخ : إذن فإليك وإليهم أسوق السؤال التالي « بأي منطقٍ تحكمون على هذه الأحداث !. »

التلميذ: سؤال محيّـِر !.

الشيخ : لكنه سؤال لا مندوحةَ عنه .

التلميذ: يبدو أن المصلحةَ الشخصيةَ هي صاحبةُ السلطانِ في هذا الصدد .

الشيخ : فأنت إذن بمنطق هـــذه المصلحة حكمت على توقُّفِ سيارتك بأنه شر !

التلميذ : لا أنكر ذلك .. فالشيخ يعلمُ أنني لم أَحصل على هذه السيارة القديمة إلا بعد الكثير من التقتير على نفسي ، وإنني لم أَطلبها رغبة في الترفيه ، بل لأستعين بهـا على حضور الدرس في الوقت المناسب ..

الشيخ : هذا صحيح ..

التلميذ: وبينما كنت متجهاً إلى هنا فوجئت بفراغ المدّخرة ، ثم باحتراق الأسلاك، حتى إضطررت إلى تركها في الطريق كأنها وعاء قمامة ..

الشيخ : لا أستطيع إلا أَن أعذرك على تذمرك فالعبء ثقيل ، والعاتق هزيل .. وليس قطعُك المسافاتِ الطويلةَ على قدميك بالأمر القليل .

التلميذ : فأنت إذن توافقني على أن الحادث شر بحد ذاته !

الشيخ : دون تردد ... بشرط أن تؤكد لي أن ما غُـيّـب عن عينيك من متعلقات الحادث هو كالمشاهد تماماً .

التلميذ : لا أفهم ما تريد .

الشيخ : ستفهم جيداً إذا تذكرت أننا نحن البشرَ لا نرى من متعلقاتِ الوقائع إلا ما يواجهُنا في الحاضر ، وما علمناه في الماضي .

التلميذ: هذا هو الواقع .

الشيخ : ولكن الماضي والحاضر ليسا كل شيء يا بني .. ومن أجل إستبانة الفرق ، تصورْ أن رجلاً بدائياً شاهد جرّاحاً يشق بطن إنسان . . . فكيف يفسر هذا الفعل ؟

التلميذ: لا ريب أنه سيعتبره جريمةً يستحق مقترفها القتل .

الشيخ : أما أنت وأنا مثلاً ...

التلميذ: أما نحن فنعتبره عملاً كريماً ومشروعاً ، لأننا نتوقع أن يكون سبباً لإنقاذ الجريح من بلاء كبير ..

الشيخ : وكيف عرفنا ذلك ؟.

التلميذ: من ثقتنا بالطب ، ومن عشرات التجارب الناجحة التي حققها الأطباء في بطون المرضى ..

الشيخ : حسناً .. فلننظر إلى خلل سيارتك على ضوء هـذا المنطق .. فماذا نرى ؟..

التلميذ: نرى !.. نرى !..

الشيخ : نرى أن ثمة تجميداً الزامياً فرض عليك ليمنعك من استعمال سيارتك إلى أجل ..

التلميذ: هو ذاك .. ولكن .. ما علاقة ذلك بمنطق الجراحة ..

الشيخ : أجبني أولاً .. هل كنتَ واثقاً من أنك ستصل إلى هنا سالماً لو استمرتْ لسيارتك سلامتُها ؟.

التلميذ: نعم ... نعم .. لا أستطيع ان أقطع بذلك ..

الشيخ : ولماذا ؟..

التلميذ: لأن الأمر متعلق بالغيب ... ولا يعلم الغيبَ إلا الله .

الشيخ : لو تصورنا أن ثمة فواجع كانت تنتظرك في الطريق ، فجاء القدر بخلل السيارة ليصونك من تلك الاحداث المغيبة . . أكان في ذلك شر عليك أو إساءة إليك ؟..

التلميذ: كلا .. بل خير من الله وإحسان ..

الشيخ : وهكذا يا بني يفسر المؤمن أحداث القضاء حين تصرفه عن غاية ، أو تدفعه مكرهاً إلى أخرى .. فهي بنظره كالعملية الجراحية يجريها الطبيب الحاذق ، ليوفر

للمريض ما هو بحاجة إليه من نعمة العافية ..

التلميذ: حقاً .. حقاً .. إنك والله لتوقظ في صدري أطيافَ حقائق ما كان ينبغي لي أن أنساها ..

الشيخ : لا غرابة في ذلك .. إن أقرب الحقائق لأعيننا ، هي في الغالب أبعد الأشياء عن أذهاننا ..

التلميذ: لقد ذكرني حديث الشيخ بعِبرة تلك السيارة الأخرى التي قرأنا قصتها معاً ذات يوم ..

الشيخ : لو أعدت خبرَها بإيجاز .. فان شيخك لا يقل عنك نسياناً ..

التلميذ: إنها السيارة التي مَرّتْ بإحدى المدن السورية ، فاستأجر فيها أحد الطلاب مقعداً ، ثم مضى ليأتي بحقيبته ، وفي أثناء ذلك قدم أحد القضاة فاحتلّ مكان الطالب على الرغم من اعتراض السّائق ...

الشيخ : نعم .. نعم .. تذكرت .. لقد عاد الطالب يومئذ ليجد السيارة قد فاتته ، فراح يتفجر غيظاً .. ويعتبر نفسه قد حُرِم كل خير .. ولكنْ ما إنْ مرت دقائق على تحركها حتى جاء النبأ باحتراق راكبيها الخمسة عشر !.

التلميذ: ساعتئذٍ أيقن الطالب أن القدر كان يعمل لمصلحته ، وعلم الشيخ المسكين أنه كان يسعى إلى منيته ..

الشيخ : فتذكر يا بني أن عِبرَة السيارة المحترقةِ ليست سوى واحد من ملايين الأمثلة الشاهدة على تدبير الله .

التلميذ: حقيقة لا ريب فيها .

الشيخ : فلتنتفع إذن بهذا الدرس ، ولتكن واثقاً بحكمة ربك، راضياً بكل ما أصاب سيارتك اليوم ، وما قد يصيبها أو يصيبك بعد اليوم .

التلميذ : أول المنافع في درس اليوم ما أفرغه على نفسي من سكينة الرضا بقضاء الله .. وهذا وحده كاف لتثبيته فيها إلى الأبد إن شاء الله .

الشيخ : إذن فستظل واعياً لما حدثتك به من قول رسول الله (ﷺ) .

التلميذ : (في تأمل خاشع) . « عجباً لأمر المؤمن .. إن أمره كله له خير .. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ... »

الشيخ : والآن بات في وسعك أن تفقه أكثر من ذي قبلُ معنى قوله تعالى « كُتب عليكم القتالُ وهو كُره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم .. والله يعلم وأنتم لا تعلمون ».

التلميذ : (في تأمل عميق) .. « والله يعلم وأنتم لا تعلمون .. والله يعلم وأنتم لا تعلمون . » !

الشيخ : وإذا غلبتك الأحداث على صبرك ، فتذكر أن الحياةَ

ليست من صنعك ، ولا هي طوعَ أمرِك ..

التلميذ: أجل .. أجل ..

الشيخ : إن الحيـــاة هبةُ اللهِ يا بني ، والمؤمن الحق هو الذي يتقبلها كما أرادها خالق الأرض والسماء ، لا كما تريدهـا المصالح العابرة والاهواء ..

التلميذ: لقد ملأتني يقيناً بهـذه الحقيقة .. فجزاك اللهُ عني كل خير .

الشيخ : ولكي تستكملَ سعادتَك بهذه الحقيقة سأملي عليك حديثاً جديداً من كلام سيد الخلق (ﷺ) تردده على نفسك كلما وجدتها أمام جديد من مِحَن الحياة ..

التلميذ: كل جوارحي آذان لكلام رسول الله .

الشيخ : روى الإمام أبو عبـــد الله البخاري عن طريق أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم :

التلميذ: (يردد ما يكتبه) روى الإمام ...

الشيخ : قال (ﷺ) « ما يصيب المسلم ، من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكةِ يُشاكُها الا كَفَّر الله بها من خطاياه » .

التلميذ: (مردداً ما يكتب) « قال (ﷺ) مـــا يُصيبُ

المسلمَ ... الخ .

الشيخ : اللهم اجعل كل ما يصيبنا ، كفارةً عن ذنوبنا .

التلميذ: آمين ..

الشيخ : واجعلنا لك على كل حال من الشاكرين ..

التلميذ: آمين ..



والله لا يحب الفساد

الشيخ : لابد أن أمراً هاماً يَشغَل بالَك !

التلميذ: أمر هام .. نعم أمر هام . . وكيف لا يكون هاماً وهو يتصل بذلك الأنموذج البشري العجيب .

الشيخ : إنك لتتكلم بالألغاز . . فما هذا الأنموذج ؟.

التلميذ: دعني أتلو عليك وصفه من كتاب الله . .

الشيخ : لا عجب ان يكون عجيباً إذن .. فاقرأ يا بني .

التلميذ: (في خشوع) « ومِن النـــاس مَن يـُعجـُبك قوُله في الحياةِ الدنيا ، ويُشهد الله على مــــا في قلبه وهو ألدُّ الخصام . وإذا توّلى سعى في الارض لِيُفسدَ فيهــــا ويُهلكَ الحرثَ والنسلَ . . واللهُ لا يحبُّ الفساد . وإذا قيل له اتقِ اللهَ أخذْته العزة بالإثم .. فحسبُه جهنمُ ولـَبئس المِهاد . . »

الشيخ : من حقك يا بني أن تَعجب لهـذا الصنف العجيب من مخلوقات الله ..

التلميذ: كنت ماضياً في قراءة سورة البقرة عندما فوجئت بهذه الآيات .. فإذا أنا في غمرة الدهشة ، ثم لا أزال أُبدىء فيها وأعيد ..

الشيخ : قل لي أولاً ما الذي أدهشك منها ؟.

التلميذ: الشيء نفسُه الذي يُدهشُ شيخي ..

الشيخ : ومع ذلك أحب أن تحدده لي .

التلميذ: هنا آيات نزلت قبل أربعة عشر قرناً ، ومع ذلك فهي تصور لنا طرازاً من البشر لا نكـاد نعرف لهم نظيراً قبل أيامنا .

الشيخ : لا تقل ذلك .. فإن هذا شأن التاريخ يكاد يعيد نفسه في الكثير من الأحداث والأشخاص..

التلميذ: أما هنـا فالأحداث والأشخاص ، حتى الكلمات التي يدأبون على استعمالها لخداع الناس.. كل أُولئك يطالعنا في وضوح بالغ من خلال هذه الآيات الثلاث ..

الشيخ : ذلك بعض خصائص الذكر الحكيم.. إنه يعرض الوقائع النفسية في نماذج بشرية يوشك أن لا يخلو منها مكان ولا زمان ..

التلميذ: ذكرتَني بذلك الأعرابي الذي يقول : « والله لو أضعتُ

عقال بعيري لتوقعت أن أجده في كتاب الله . » .

الشيخ : لا غرابة يا بني في هذا التمثيل ، إنه القرآن الذي يقول فيه منزله « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

التلميذ: سبحان منزلِه ... سبحان منزلِه ..

الشيخ : والآن ندع لك أن تحدثنا عن مدى التطابق الذي تحسه بين أخبار الآيات ووقائع الأحداث .

التلميذ: أول ما أشهده هنا منظر ذلك الممثل المحتال ، الذي يقف في جماهير الغوغاء ليعلنَ أنــه المسلم الأول الذي لا همَّ له الا تحقيقُ أهداف القرآن العظيم ..

الشيخ : ثم ...

التلميذ: ثم إذا انصرف إلى نفسه وشياطينه بذل كل ما يملك من مجهودٍ لإفساد الحياة على اولئك الذين حاول خداعهم..

الشيخ : حسناً .. ثم ماذا ؟

التلميذ: وطبيعي أن القوم لا يخلون من عاقل يدرك الفرق بين مزاعم هذا الطاغية وأعماله ، فيذكره بالله ، ويكشف لعينيه ما خالفه من أحكام الله ..

الشيخ : فكيف يقابل هذا النصح الحق !.

التلميذ: بكل ما يمثل عزة الإثم .. وفي مقدمــة ذلك التشويه فالتشهيرُ فالتنكيل .

الشيخ : ذلك هو الإطار العام لمضمون الآيات .. وتبقى دقائق

لابدّ من ملاحظتها .

التلميذ: وهي من شأن الشيخ ، لا من شأن التلميذ .

الشيخ : سأجمِل لك هـــذه الدقائقَ أولاً ، ثم أحدثك عن كل منها .

التلميذ: نِعِمَّا تَفعل .

الشيخ : تذكر يا بني الكلمات التالية « في الحياة الدنيـا . ألدُّ الخِصام . يهلك الحرث والنسل .. »ثم هـــذا التذييل الالهي :« والله لا يحب الفساد » .

التلميذ : (يعيد في تأمل) « في الحياة الدنيا .. ألد الخصام .. يهلك الحرث والنسل . والله لا يحب الفساد . ! »

الشيخ : هذا المثال الرديء من مخلوقات الله ، يُعجبُك قوله في الحياة الدنيا .. فهو يزعم الغَيرةَ على مصالحِ الناس ، والرغبة في إسعادهم ، فيكثر الكلام عن مجتمع الكفاية والعدل ، والحرية والكرامة ، ويدعي العلم بكل مـا يحقق هذه الأهداف .. حتى يستوليَ على ثقة العامة ، فيحسبونه المنقذَ والرائدَ !

التلميذ: تماماً .. تماماً .. !

الشيخ : ولكنه في حقيقته المحجوبة ألدُّ اعداء الحرية والعدالة والكرامة .

التلميذ: أجل .. أجل.. حتى أنه لا يتورع عن استخدام أَخس

الجرائم لإذلال قومه واستعبادهم !..

الشيخ : والآن انتبه إلى قوله تعالى « وإذا تولىْ سعى في الارضِ ليُفسدَ فيها ويُهْلكَ الحرث والنسل ».

التلميذ: (يعيد في أناة) « وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل .. »

الشيخ : إن لهذا الطاغوت شخصيتين متناقضتين ، إحداهما معدة لاختيار الكلام ، تزينه وتنمقه لتجتذب به أهواء الغوغاء .

التلميذ : حقاً .. !

الشيخ : والأخرى مختصة بابتكار الفساد.. لا تحسن شيئاً غيره . ! ويتضح لك هذا التخصص من فعل الشرط وجزائه ..

التلميذ : (في أناة وتفكير) « إذا تولى سعى .. ! »

الشيخ : نعم .. فهو بمجردِ أن يتولىّ إلى مجال عمله ..

التلميذ: يبدأ السعي لإفساد الأرض !

الشيخ : وهنا يواجهنا هذا العطف العجيب .

التلميذ : ويهلك الحرث والنسل !.

الشيخ : أما الحرث ، وهو كل ما يستصلح الأرض لاستنباتها واستخراج خيراتها، فحظه من هذا الطاغوت الإهلاك .

التلميذ: ولقد حقق والله في أرض قومه أبشع صور الإهلاك ، حتى أصبحت ــ وهي التي كانت منبع النعمة والرخاء ــ

عاجزة عن إطعام أهلها ، فلا يجـــدون قوتهم إلا من صدقات الشعوب !.

الشيخ : وهو مع ذلك لا يزال يصرخ بملء فيه « إنه قد أصلح الأرض وجعل منها وسيلة لبناء الفردوس الموعود ! » .

التلميذ: يا للتضليل !..

الشيخ : وأما النسلُ .. أما إهلاكُ النسل .. فهل أنا بحاجـة لأحدِّثك عنه !

التلميذ: كلا .. كلا .. إنه بارز في تصميمه على تعقيم الشعب باسم مصلحة الشعب !.. ولكن .. هل يمكن أن يقدم على تنفيذ هذه الجناية !!

الشيخ : كأنك لم تسمع إذاعته أمس تُعلن تأليف اللجان الخاصة بتحديد النسل !

التلميذ: يا لَـلهول !.

الشيخ : بل قل : « يا لضخامة الخدمةِ التي يؤديها هذا الرائدُ لأعداء شعبه ! »

التلميذ: وفي سبيل أي شيء ترُتَـكَـبُ كل هذه الحماقات ؟!.

الشيخ : في سبيل الشيطان !.. الشيطان الذي يسول له أنـــه بأضاليل اليهودي « ماركس » يستطيـعُ تغييرَ فطرةِ الله..ويستطيـعُ أن يقدم للشعب نظاماً أفضلَ من شريعة الله !..

التلميذ: (في خشوع) وَمَن أظلمُ مِمَّن افترى على اللهِ كذباً ، أوْ قال أوحِيَ إليّ ولم يُوحَ إليه شيء » ومن قال « سأنزِلُ مثلَ ما أنزلَ الله !. »

الشيخ : أرأيت يا بني دقةَ التعبير الالهي بإهلاك الحرثِ والنسلِ ، ومدى تحققِ هذا الأهلاك في أمثال هذا الطاغوت !..

التلميذ: وهل ثمة لهذا الطاغوت من أمثال ؟!.

الشيخ : لو فتحت عينيك على مخطّطِ العالم لرأيت أشقى الشعوب وراء الحدود التي تطبق اليوم هذه الأنظمة الرعناء ..

التلميذ: حقاً .. وإنّ في سور « برلين » الذي يفصلُ بينَ الجحيم والنعيم ، لأكبرَ الفضائحِ التي تَدمغُ هؤلاء المغامرين .

الشيخ : وماذا بقي من دقائق الآيات .. هل تذكر ؟.

التلميذ : بلى .. بقي قوله تعالى « واللهُ لا يُحِبُّ الفساد » .

الشيخ : إن في هذا التذييلِ توكيداً لما تقدم في صدر الآية الأولى ، حيث سمعت ذلك المخادعَ يُشْهِدُ الله على ما في قلبه ..

التلميذ: وكيف ؟.

الشيخ : وعلى أيّ شيءٍ يُشهدُ الله ؟..

التلميذ: على ادّعائِه بأنه عامل لتحقيق الخير والعدالة .

الشيخ : ثم لا يَعملُ إلا الفساد .. أليس كذلك ؟

التلميذ: نعم .. نعم ..

الشيخ : فالله إذن يُكَذِّب يمينَه الفاجرة ، إذ يقذفه بالحقيقة التي يفقهها كل قلبٍ سليم .. وهي أنـه تعالى لا يحب الفساد .

التلميذ: اللهم احفظنا من المفسدين .

الشيخ : آمين .. وطهر من أرجاسهم أوطانَ المسلمين .

التلميذ: آمين .. آمين ..



ويسلموا تسليما

الشيخ : يبدو أن مختاراتك اليوم كثيرة .

التلميذ: بل قليلة .. ولكني حائرٌ بينها ، لا أدري أيّها يجب أن أقدِّم .

الشيخ : أمِن سورة واحدة أم من سور عدة ؟

التلميذ: بل من واحدة .. هي سورة النساء .

الشيخ : سورة النساء كنوز من الاحكام الهامة ، من حقها أن تحيرنا جميعاً ، فابدأ بأيها شئت .

التلميذ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « ألم تر إلى الذين يَزعمُون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك .. يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ، ويريدُ الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، ثم جاؤوك يحلفون بالله إنْ أردنا الا إحساناً وتوفيقاً . أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله .. ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك في ما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيتَ ويُسلِّموا تسليماً » .

الشيخ : اللهم لا تجعل في أنفسنا حرجاً من قضائك .

التلميذ: آمين ..

الشيخ : صَيْدُك اليوم جِدُّ سمين .. يا تلميذي العزيز .

التلميذ : لكن .. لا بد لهذا الصيد من طاهٍ خبير .

الشيخ : لنتعاون كدأبنا في هذا الطهو .. ولتبدأ أنت بإبراز المحاور الكبرى التي تدور حولها الآيات .

التلميذ : الفكرة التي تكونت في رأسي أمام الآيات أنها تُشَهِّر بفريق من المنافقين ، قد آثروا حكم الجاهلية على حُكم الله ورسوله .

الشيخ : هذا تقرير عام لابد لإيضاحه من تفصيل .

التلميذ : تلكَ مُهمة الشيخ .

الشيخ : أنعم النظر قليلاً في الكلمات التالية « يزعمون. الطاغوت. الضلال البعيد . المنافقين . مصيبة . » ثم الآية الأخيرة بأجمعها .

التلميذ : لقد وجدتني من قبل مشدَود البصر إلى هـذا كله .. ولكني لم أستطع تعليلَ السبب .

الشيخ : هـذا أمر بديهي .. فامض معي حتى نتبين بعض أسراره .

التلميذ: إني على أَثرِك .

الشيخ : روى الإمام البخاري عن طريق الزبير بن العوام (رض) أنه اختلف مع أحد الأنصار على ماء فاحتكما إلى رسول الله (ﷺ) فقال : « إسق يا زبير ثم أرسل المـاءَ إلى جارك . » فقال الانصاري « يا رسول الله .. أن كان ابنَ عمتك !. »

التلميذ: أعوذ بالله !.

الشيخ : يقول الزبير : « فما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك » .

التلميذ : (في تأمل) « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم .. »

الشيخ : وهناك رواية أخرى في سبب النزول ذكرها ابن كثير ، خلاصتها أن الخلاف قد حدث بين يهودي وأنصاري ،

فدعا اليهودي خصمه إلى رسول الله ، ولكن الأنصاري دعاه إلى كعب ابن الأشرف عدو رسول الله !.

التلميذ: يا للضلالة .. أفحكم الجاهلية يبغون !!

الشيخ : من هنا تنفذ إلى كنه الآيات التي تخيرت .. فأنت ترى أن التنديد في كلتا الروايتين منصبٌ على الأنصاري .

التلميذ: نعم .. نعم .. على الأنصاري .

الشيخ : وقد جعل الله عقيدته موضع الشك ، فجرده بسبب موقفه من حقيقة الإيمان ، ونسب إليه مجرد زعم الإيمان !.

التلميذ : (في تأمل) «ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا ..»

الشيخ : لذلك أنزله الله منزلة المنافقين .

التلميذ : (في تأمل) .. « رأيت المنافقين يصدون ..»

الشيخ : فهذا الأنصاري يزعم أنه مؤمن بالله وبما أُنزل على أنبيائه . ومع ذلك لا يستنكف أن يلجأ في مشاكله إلى غير شريعة الله !.

التلميذ : (في تأمل) « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت . »

الشيخ : وهو بهذا الإنحراف إنما يستسلم إلى الشيطان الذي يريد أن يقذف به بعيداً عن رحمة الله !.

التلميذ : (في تأمل) «ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً».

الشيخ : وطبيعي أن الانقيادَ إلى الشيطانِ ملقٍ بأيدي أهلِه

إلى الكوارث والأرزاء .

التلميذ : (في تأمل) « فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم .. » !

الشيخ : ومع ذلك فإن الله لم يونس هؤلاء العاثرين من رحمته ، فهو يدلهم على طريق الخلاص..

التلميذ: (في تأمل) « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله . »

الشيخ : وهكذا ترى أن الإقلاع عن متابعة الشيطان ، والتزام طريق الرحمن ، هما السبيل الوحيدة إلى سعادة الإنسان .

التلميذ: لا يشك عاقل في ذلك .

الشيخ : والآن أعد النظر في الآية الأخيرة .. وقل لي ما الذي تفقهه منها ؟

التلميذ : (في أناة وخشوع) « فلا وربك لا يؤمنون حتى .. »

الشيخ : حاول أن تحدد مضمون الآية وفق الترتيب الذي يطالعك في أجزائها .

التلميذ: هنا أولاً نفيُ الإيمان عن هؤلاء الذين رضوا بغير حُكم الله ، وهو نفي مؤكد بالقسم وبالحرف المكرر .

الشيخ : ذلك هو التوجيه الاول .

التلميذ: ثم يتحول هذا النفي إلى إثبات قاطع .

الشيخ : وبم يتم هذا التحول ؟

التلميذ: يتم بالتوبة الصادقة .

الشيخ : وكيف نعرف صدق التوبة ؟

التلميذ: هناك أدلة ثلاثة ...

الشيخ : أولاً .

التلميذ: أن يخضعوا لحكم الله ورسوله في تصرفاتهم جميعها .

الشيخ : ثانياً .

التلميذ: أن يتم هذا الخضوع عن طريق الإنقياد القلبي ، فيرضوا بكل ما يرُضي الله ورسوله ، ولو كان منافياً لمصلحتهم في الظاهر .

الشيخ : ثالثاً .

التلميذ : أن يُسَلـّموا تسليماً ..

الشيخ : وما الفرق بين التسليم والإنقياد القلبي ؟!

التلميذ : الفرق !.. هناك فرق حتماً .. ولكن .. لا أجـدني قادراً على تحديده .

الشيخ : لا بأس . فلننظر معاً إلى النفي في الفقرة قبل الأخيرة .

التلميذ: (يعيد في أناة) « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممـا قضيت .. »

الشيخ : فهنا حالة سلبية ، تصور لنا طوية هؤلاء التائبين نقيةً من أي اعتراضٍ على حكم الله ورسوله .

التلميذ: حقاً ..

الشيخ : ثم لننظرْ إلى الإِثبات المؤكّد في الفِقرة التالية .

التلميذ: (يعيد في أناة): « ويُسلِّموا تسليماً » .

الشيخ : فهنا وضع إيجابي يعرض لنا القومْ في حالة ارتياح تام إلى حكمة الله في ذلك القضاء العادل ، فهم مسلّمون لله ورسولهِ تسليماً محرراً من أي شائبة أو تردد » .

التلميذ : مِن أين لي أن أُوفقَ إلى مثل هذا التحليل !.

الشيخ : ومع ذلك فليست هـــذه سوى لمحاتٍ سريعةٍ حول مضمون الآيات .

التلميذ : لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر .

الشيخ : يقول إبن كثير في هـــذه الآيات عقيب ذكر أسباب النزول :« إنها أعم من ذلك كله فإنها ذامة لكل مَن عدَل عن الكتاب والسنة إلى سواهما من الباطل المراد بالطاغوت».

التلميذ : هذا شأن القرآن العظيم ، ينزل حكمه لحالة خاصة ثم يشمل كل ما أشبهها .

الشيخ : وما أكثر الحالات التي تمثلها الآيات !. بل مـــا أكثر النماذج التي تعرضها !!

التلميذ: هذا التشابه هو الذي ركز ذهني على الآيات ، فجئتك بها لتجعل منها حديث اليوم .

الشيخ : التشابه بين البشر لا يمكن أن يأتي شاملاً لكل الجوانب .. فما هي الخصائص المشتركة التي لمحتها بين نماذج الأمس ونماذج اليوم ؟

التلميذ : إنها أولاً في اتفاق الضالين جميعاً على التحاكم إلى غير ما أنزل الله .

الشيخ : ثم ماذا ؟

التلميذ : ثم تلاقي الأولين والآخرين مِن هؤلاء على زعم الإيمان ! ولَكِنَّ في أيامِنا من طاغية يُصدِرُ مراسيمَ الإعدام لأحرار المؤمنين ، متوجةً باسم الله الرحمن الرحيم !

الشيخ : ولكن لا تنس ان بعض هؤلاء الطواغيت قد انتقلوا من التستر إلى الصراحة ، فهم اليوم لا يكتمون كرههم للإسلام ، بل أنهم ليُعلنون على الدنيا أنهم ضد كل تقارب بين المسلمين ، وأنهم يد واحدة ، مع كل الملحدين !..

التلميذ: خير للإسلام أن ينكشف خصومه جميعاً .. فالكفر أقلُّ خطراً من النفاق الخفي ..

الشيخ : من أجل ذلك يؤكد الله عز وجل أن المنافقين في الدرْك الأسفل من النار !.

التلميذ: ومهما يكن من فرق بين الفريقين فبينهما قدر مشترك آخر ، هو أن كلا منهما مصرٌ على باطله ، وأن كلا منهما مصدر شؤم لا نهايه له على قومه !..

الشيخ : ولكنهم جميعاً لا ينفكّون عن الإدّعاء أنهم ساقوا إلى قومهم الكرامةَ والعدالةَ والرخاء !.

التلميذ : وماذا يُجديهم هذا الهُراء ، والدنيا كلها تشهد بأنهم لم يسوقوا لقومهم إلا الحرمانَ والهوانَ والشقاء !.

الشيخ : إيه .. ! ذلك يا بني هو المصير المحتوم الذي كتبه الله لكل الزائغين عن سبيله .

التلميذ : (في خشوع وتأمل) « ومَن أعرض عن ذِكري فإن له معيشةً ضنكاً !. »

الشيخ : اللهم لا تجعلنا من هؤلاء المُعرضين .

التلميذ : آمين ...

الشيخ : وارفع كابوسهم عن ربوعِ المسلمين ..

التلميذ : آمين .. آمين .. يا أرحم الراحمين ..



الشيخ : يلوح لي أن الذي إجتذب إهتمامك من هذه الآيات هو لفظ الذكر .. أليس كذلك ؟

التلميذ: بالتأكيد وقد ضاعف إهتمامي بهذا اللفظ أنني تتبعته في آيات الكتاب المبين ، فإذا هو يبلغ مئـــة وإحدى وأربعين مرة ...

الشيخ : مئة واحدى وأربعين مرة !.

التلميذ : أجل .. وطبيعي أنني أعني مادة الكلمة على اختلاف صورها من أنواع الأفعال والأسماء على السواء ..

الشيخ : نعم .. نعم .. أفهم هـــذا .. وإنني لمعجب بالحوافز الروحية التي زينت لك هذا التتبع يا بني .

التلميذ : ولا أكتم الشيخ أن هناك سبباً آخر أسهم في تكوين هذه الحوافز ..

الشيخ : تعني . . .

التلميذ: أعني حلقات الذكر التي شاهدتها أثناء رحلتي خارج هذه الديار المقدسة .. وما أكثرها ..!

الشيخ : كأني بك تريد إستطلاعَ رأيي في موضوع الذكر !

التلميذ: ذلك ما أُريده ..

الشيخ : فأعد إذن بعض الآيات التي قرأتها آنفاً لنسلك سبيلنا في البحث على ضوئها ..

التلميذ: سأعيدُها ولكن من عدة سورٍ ..

الشيخ : لا بأس .. فاقرأ ..

التلميذ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « إنَّ في خَلقِ السموات والأرض وإختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الالباب. الذين يذكرون الله قِياماً وقُعوداً وعلى جنوبهم » .. « فإذا قُضِيَت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم .. إنما يُريدُ الشيطان أن يوقع بينَكم العداوةَ والبغضاءَ في الخمر والميسر، ويَصُدَّكم عن ذكرِ اللهِ وعن الصلاة . فهل أنتم منتهون !. » « الذين آمنوا وتَطمئنُّ قلوبهُم بذكرِ الله .. ألا بذكرِ اللهِ تطمئنُّ القلوب.. »

الشيخ : أللهم إجعل ذكرَك أنسَ قلوبنا .

التلميذ : اللهم وطيِّبْ به ألسنتنا ..

الشيخ : وما أروعَها نعمةً عندما تجتمع الألسنةُ والقلوبُ ،

على ذكرِ علام الغيوب . !

التلميذ: هنا المشكلةُ التي جئتُك سائلاً حلَّها .

الشيخ : مشكلة !.

التلميذ: بلى .. إنها بالنسبة إليّ مشكلة.

الشيخ : حدِّدْ مُرادَك يا بني . . .

التلميذ: معظم كلمات الذكر الواردة في المئة والأربعين موضعاً تدور حول هذا المعنى ، الذي قصدنا إليه في دعائنا .

الشيخ : هو كذلك .. فأيُّ مشكلة في هذا ؟.

التلميذ: المشكلةُ هي : أيُّ النوعين أحبُّ إلى اللهِ ، أو أوفى بحقيقةِ ذكرِه ، أذكرُ القلبِ أم ذكر اللسان .؟

الشيخ : قبل الإجابة على هذا السؤال لابـــد من تحديد مفهوم الذكر في ضوء القرآن والسنة المطهرة .

التلميذ: وهذا ما أرنو إليه .

الشيخ : لِنُنعم النظَـر أولاً في دِلالةِ كلمة (الذكر) .. حيث وردت من الآيات التي قرأت . . .

التلميذ : نعم .. نعم ..

الشيخ : في آيتي آل عمران يجعل الله تبارك وتعالى أهلَ الذكرِ هم أُولي الالباب .. الذين يستشِفُّون عظمةَ ربهم من خلالِ مصنوعاته في السموات والأرض ..

التمليذ: لاشك في ذلك ..

الشيخ : فالله سبحانه يقرنُ بين اللبِّ والذكر كعنصرين متلازمين ، فكأنه يقول : « لا ذكرَ لِمَن لا لُبَّ له ، ولا لُبَّ لمن لا ذكرَ له ...»

التلميذ: حقاً ..

الشيخ : وفي آية النساء أمرٌ لِلمصلين بمداومةِ الذكرِ في جميع أحوالهم ..

التلميذ: قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ..

الشيخ : ثم في آية المائدة يحذّرنا الله كيدَ الشيطان ، إذ يرُينا غرضه من إشاعة الخمر والميسر محصوراً في أربعة أشياء أتذكرها ؟.

التلميذ: إيقاع العداوة والبغضاء .. والصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة ...

الشيخ : أرجو أن لا يفوتك ما في هـذا التقابل بين العداوة والبغضاء ، وترك الذكر والصلاة ، من إيحاء عميق ..

التلميذ: لا غَناءَ لي عن معونتِك في استكناه هذه الأسرار .

الشيخ : بقليل من التفكير تُدركُ أن الذكر المشروعَ ، والصلاة المستوفاةَ من شأنهما تطهيرُ القلوبِ من أدران العداوة والكراهية بين المسلمين ..

التلميذ : لا غرابةَ في ذلك .. ولكن .. كيف نُفرقُ بين الذكرِ المشروعِ وغيرِ المشروع ؟

الشيخ : ذلك ما ستعرفُه قريباً . . فامض معي الآن إلى آيةِ الرعد ، حيث نرى حصيلةَ الذكرِ في قلوب المؤمنين .

التلميذ: (في أناة وتأمل) : (الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبهُم بذكر الله ..)

الشيخ : فثمرة الذكر إذن هي الإطمئنان .

التلميذ: أجل .. ولكنها ثمرةٌ لا تَطعمُها إلا قلوبُ المؤمنين ..

الشيخ : هذا صحيح .. غير أن الأصل في الذكر أنه غذاءٌ لِلقلوبِ جميعها .. وهذا ما يؤكدُه تذييلُ الآية نفسها ..

التلميذ : (في تأمل) « ألا بذكر الله تطمئن القلوب !»

الشيخ : ذلك هو الأصل .. ولكنَّ القلوبَ الفاسدةَ لا تنتفعُ بالذكر ، كالمصباح الخرِب ، لا يصلحُ للتفاعلِ مع التيار الكهربي .

التلميذ : ما أقربَ هذا إلى قوله تعالى عن الكافرين : « ولهم قلوبٌ لا يَفقهون بها .. »

الشيخ : وسيتضح لك المعنى أكثرَ عندما تعلم أن الفقهَ أحد معاني الذكر .

التلميذ : الفقه أحد معاني الذكر !.

الشيخ : أجل يا بني..وإلى هذا ذهب كثيرون من الأئمة كسعيدِ

ابن جبيرٍ والنووي والقُرطبي . وقد قال عطاءٌ رحمه الله : « مجالس الذكر هي الحلال والحرام ، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم »

التلميذ: هذه حقيقةٌ لم أعرفها من قبل .

الشيخ : كان عليك أن تفهمها من حديث ابنِ عمَر الذي حفظته أمس .. فاقرأه وتفكرْ في مدلوله .

التلميذ: (يتلو في تأمل) « قال رسول الله (ﷺ) إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » . قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟.. قال « حِلَقُ الذِكر .. »

الشيخ : وماذا تكون حِلَقُ الذكر هنا سوى مجالسِ الفقه يا بني ؟.

التلميذ: ولكن هناك من يفسرها بغير ذلك ..

الشيخ : هل تذكر ما يقولون ؟.

التلميذ: يقولون إنها في تلك الحلقات التي رأيناها في بعض الأقطار ، حيث ينتظمُ الأفرادُ حول شيخِهم ، وهم يتمايلون بإشارته ، وقد غرقوا في نشيد مبحوح من الزفير والشهيق !.

الشيخ : وهل استطعتَ فهمَ ما ينطقون ؟

التلميذ : لم أفهم منهم سوى هذه الحرف « هلْ !.. هلْ ! . هلْ !.. »

الشيخ : ومع ذلك يدّعون أنهم بذلك إنما يذكرون الله!

التلميذ : وقد رأيت بعضهم يأخذه الوجد ، فلا يعود للوعي إلا بعد كثير من الجهد !.

الشيخ : مثل هذا الوجد كان يعتري واحداً من أسلافهم عند سَماعِ القرآن ، فلما ذُكر أمرُه لأحد علماءِ السَّلَفِ قال .« بيننا وبينه الجدار . » .

التلميذ: ولكن .. ما علاقةُ الجدار في هذا الأمر ؟

الشيخ : قال العالم :دعوه يركب الجــدار ثم أسمعوه القرآن، وعندئذٍ ستَرون حقيقةَ تواجُدِه !

التلميذ: (مقهقهاً) .. عفواً أيهــا الشيخ فإن النكتة غلبتني على وعيي ..

الشيخ : من حقك أن تضحك وتقهقه ، فمثلُ هــذه المخارقَ تُضحك الثكلى .. ولكن لوْ تصورت ما جرَّته على المسلمين من ألوان البِدعِ لهجرت الضحك إلى البــكاء !.

التلميذ: حبذا لو تفضلت بالإشارة إلى بعض هذه البدع ... فإن إيضاحها مساعد على تجنبها .

الشيخ : ذلك واجب لابدَّ منه ، لإقامةِ الحدود بــين الذكر المشروع ، والذكر المصنوع .. ولكن ..

التلميذ : أرجـــو أن لا تحول (لكن) دون إستمرار الحديث ...

الشيخ : لن تحول إن شاء الله.ولكنَّ المجلسَ قد إستوفى حقه ولا بد للبقية من وقت آخر .

التلميذ : إذن فإلى اللقاء في المجلس القادم إن شاء الله .

الشيخ : إن شاء الله .



الخذلان المبين

الشيخ : هات ما أعددته لمجلس اليوم !.. أيها الفتى .

التلميذ: سلم الله الشيخ .. لم أزل حتى الساعة مشغولاً بالتأمل في حديث الذكر الماضي ..

الشيخ : كدت أنسى أننا أرجأنا تتمة البحث إلى اليوم .

التلميذ : أما أنا فلا أزال أُمَنّيِي نفسيَ بهذه التتمة .

الشيخ : وَهذا أيضاً من متعلقات الذكر .. أخبرني .. كيف استطعت أن تستبقي أمر البحث في نفسك ؟.

التلميذ : كنت أستعيد مضمون البحث ،وأردد النظر في عناصره واحداً فواحداً .

الشيخ : بلسانكَ أم بقلبك كنت تفعل هذا ؟.

التلميذ : كان ذلكَ تأملاً قلبيـــاً .. ولكن اللسان لم يكن بمعزل عنه .

الشيخ : فالذكر إذن من عمل القلب بالدرجـــة الأولى .. ثم تكون حركة اللسان تعبيراً أو فيضاً عمّا يتفاعل فيه !

التلميذ : ولكن .. ما علاقة ذلك بالذكر الذي نريـد استكمال موضوعه .

الشيخ : أجبني أولاً .. لو أن تلميـــذاً آخر شهد معك مجلسنا الماضي ، ثم قطع صلته به ، فلم يُحدّثْ نفسه بشيء عنه كما فعلت أنت . . افتسمي مثل هـــذا المخلوق ذاكراً ؟.

التلميذ: كلا .. بل اسميه غافلاً ..

الشيخ: هكذا يا بني يتجلى الفرق بـــين ذكر الله والغفلة عن آياته .. فالمؤمن حاضر الوعي ، يرى وراء كل ظاهرة من الوجود يدَ الله تمحو وتثبت ، وتهـدم وتبني ، بينما تجد الكافر غافلاً عن آيات ربه ، لا يكاد يرى من الكون إلا ما يواجه حسّه .

التلميذ: لقد إزددت فهما لمدلول قول الله تبارك وتعالى « ولقـد ذرأنا لِجهنمَ كثـــيراً من الجنِ والإنسِ ، لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يُبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بهـا .. أولئك كالأنعام ، بل هم اضلُّ .. أولئك هم الغافلون .. »

الشيخ : وإذن فاعلم أن الذكـَر الحيَّ هو آيةُ الحيـــاةِ في نفس

الإنسان ، كما أن خلوّ النفسِ منه هو أمارة موتها ؟.

التلميذ: هذا تعريف جديد للحياة والموت !

الشيخ : ولكنه حقيقةٌ نابعة من حديث رسولِ الله (ﷺ) في في ما رواه البخـــاري عن أبي موسى الاشعري حيث يقول (مَثَلُ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذكرُه مَثَلُ الحيِّ والميت) .

التلميذ: صدق رسولُ الله .. ولكنك وصفتَ الذكر بأنـــه الحيُّ .. فهل ثَمَّةَ ذكر ميت ؟!

الشيخ : يكون الذكرُ حياً بقدرِ ما يتصلُ بالقلب ، ويستشعرُ من جلال الله في ذاته وما حوْله .. وكلُّ ابتعادٍ بالذكر عن ذلك اليَنبوع العُلْويِّ إدناء له من الموت الروحي.

التلميذ: كان عليَّ أن أدرِكَ هذا من قبل .

الشيخ : ومن هنا ترى يا بني أن هذا الضرب من الذكر عبارة عن حركةِ صقلٍ دائبـــةٍ لجوهرِ الكَيان البشري ، من نتائجِـها رهافةُ الشعور ، ونقـاءُ السَّريرةِ ، وتيقظ القلب .

التلميذ: لا شكَ أنَّ قلباً كهذا لا يَجدُ الشيطانُ إليه سبيلاً .

الشيخ : وإذا استطاع أن يختلس منه غفلةً فسُرعان ما يتنبه لهفيثوبُ إلى نور ربه .

التلميذ: (يقرأ في خشوع) « إنّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف

من الشيطان تذكروا ، فإذا هم مبصرون . » !
الشيخ : يا لروعةِ التذكُّر !.
التلميذ : والآن أجدُني في شوقٍ إلى إيضاحِ ما أشرتَ إليه في المجلس السابق ، عن مشروع الذكر ومصنوعه .. بعد أن فرقتَ بين حيِّ الذكر وميته .
الشيخ : لابد أنك تذكر جيداً ما سبق أن قررناه من أن العبادة شَرْعُ الله ، لا يقبل منها إلا ما أمر به على لسان رسوله .
التلميذ: لا أنسى ذلك أبداً .
الشيخ : والذكرُ عبادة يا بني ، يلتزم بها المؤمن سبيل رسول الله كشأنه في سائر العبادات .
التلميذ: هل يعني ذلك أن يلتزمَ الذاكرُ نفس الصِيغِ المأثورةِ دون زيادةٍ أو نقصان !.
الشيخ : لو كان الأمر كذلك لكان تكليفاً للكثيرين بما لا يطيقون ، إذ ليس جميع الناس بقادرين على استقصاء الصِّيغِ الواردة في القرآن والسنة ، فضلاً عن حفظها .
التلميذ: فكيف إذنَ يَتِمُّ الإلتزام الذي تشير إليه ؟.
الشيخ : تذكر يا بني أن كلَّ تمجيدٍ لله فهو ذكر له .
التلميذ : لا شكَّ في ذلك .
الشيخ : وأن الله قد أرشدنا في كتابه الحكيم إلى كثيرٍ من التمجيدات التي يحبها ، لا على سبيل الحصر ،ولكن على

سبيل التعليم والتوجيه .

التلميذ : ولا مرية في هذا .

الشيخ : ثم إن رسول الله (ﷺ) قد هدانا إلى نوعين من الأذكار أحدُهما قَيَّدَ عددَه وألفاظه ، فليس لمسلمٍ أن يتجاوزَه .

التلميذ: لو مَثّل الشيخ لهذا الضرب من الذكر .

الشيخ : مِن ذلك ما أثر عنه (ﷺ) في الصلوات ، ونحوُه من أذكار اليوم والليلة . . وهي مثبتة معروفة في كتب السنة .

التلميذ: ثم النوع الآخر . . .

الشيخ : هو الذي حثّ عليه دون تقييد لعدده فلا ينبغي لأحدٍ أن يقيِّده .

التلميذ : لقد عرفت أثناء تطوافي في بعض الأقطار شيوخاً يوظفون لأتباعهم أذكاراً خاصة لكل جزءٍ من الزمن ، ولكل نوع من الحوادث فما قولُ الشيخ في هذا ؟.

الشيخ : ليس لشيخك من قول بعد أن قضى رسول الله (ﷺ) بأن كلّ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» وأن « كلّ مُحدَثةٍ بدعة وكلّ بدعةٍ ضلالة . . »

التلميذ: ولكن القومَ يتملصون من تُهَمَةِ الابتداع ، بما يدعونه من أن أعمالهم مبنية على أصل من السنة !.

الشيخ : السنةُ يا بنيَّ في مفهوم العلماء كالمفتاح ، والفطرة الإنسانيةُ كالقُفل . . أرأيتَ لو زدتَ المفتاحَ سناً ،

أو نقصتَه سناً .. أكانَ له أيُّ عمل في ذلك القُفل ؟.

التلميذ: لا .. أبداً .

الشيخ : والله تعالى يقول : « فَلْيحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تُصيبَهم فتنةٌ أو يصيبهم عذاب أليم . » وطبيعي أن كلَّ تقييدٍ لِمُطلَقِ السنة، ككلِّ إطلاقٍ لِمقيَّدها ، كلاهما مخالفة عن أمرِ رسول الله تستوجب الفتنة والعذاب .

التلميذ: نعوذ بالله من خِلافِ رسوله !.

الشيخ : ولكي تعرف موقف السلف من موضوع الإلتزام لحدود السنة ، سأحدثك بهذه الطرفة العميقة .

التلميذ: ما أشوقَني إلى طُرف الشيخ !

الشيخ : روى أحد العلماء في كتابٍ له قصة رؤيا عن أحد العُبّاد ، ملخصها أنه رأى نفسَه مسوقاً إلى ساحةِ الحساب ضمن جمع كبير من الخلق، وقفوا يستمعون إلى الحكم الصادر بشأنهم يتلوه أحد الملائكة .

التلميذ: نعم .. نعم !

الشيخ : قال الملَك : « لقد أخبركم محمد (ﷺ) أن «من سبَّح في دُبرِ كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمِد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين ، وقال تمام المئة « لا الهَ إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر . »

التلميذ : قرأت هــذا الحديثَ أمس في صحيح مسلم عن أبي هريرة (رض) .

الشيخ : قال الملكُ فأنا الآن مُكـلَف تحقيقَ هذا الوعـــد وسأقرأُ أسماء الذين عملوا بأمره ، فمن ذكرتُ اسمه فليدخل الجنة .

التلميذ : وفاء لا بد منه !.

الشيخ : يقول صاحب الرؤيا (وتتابعت الأسماء وتتابع دخول أصحابها الجنــة ، حتى لم يبق سواي ، فتعلقتُ بالملك أقول له إنني من المستحقين .. فأين إسمي ؟

التلميذ : مسكين !..

الشيخ : يقول الشيخ : (لقد أعاد الملك قراءة بيانـه فلم يجد لي إسماً ! فرحتُ أقسم له إنني فعلتُ كلَّ ما أمر به محمد (ﷺ) . فسألني أن أصف له ما عملت ، فقال لقد لازمت هذا الذكر حتى آخر حياتي ، ولم أقف به عند العدد المطلوب ، بل زدت كلاً من أقسامهِ الثلاثة إلى مئة ، رغبــةً في زيادةِ الأجر .

التلميذ : فهل تحقق أملـه ؟.

الشيخ : بل حَبِط عملـُه !. إذ قال له الملك : «إن خلافَك هذا لِرسول الله هو الذي حرَمَك ما ناله غيرك !.»

التلميذ : من فضل الله على المسكين أنَّ ذلك كله لم يكن سوى رؤيا مزعجة !.

الشيخ : نعم .. ولقد نفعتْه تلك الرؤيا ، إذ أخذ نفسَه منذ ذلك اليوم بالوقوف عند حدودِ الأمر النبوي .

التلميذ : موعظة رادعة ، ونتيجة رائعة !.

الشيخ : ولعلَّ في هذه القصة وما أعقبها ما يُروي ظمأك إلى معرفة الفرق بين الذكر المشروع والذكر المصنوع !.

التلميذ : ظمأ القلب إلى المعرفة لا يُروى .

الشيخ : إذن فليكن ختام حديثِنا اليومَ هذه الطُّرفة الأخرى. هل سمعتَ قطُّ بوردِ ابن سلطان ؟

التلميذ : بلى .. ورأيت أثناء رحلتي كثيرين لا يكادون يقرؤون سواه !

الشيخ : في مقدمة هذا الورد حكاية عجيبة خلاصتُها أن ابن سلطانٍ كان على عهد رسول الله لا يكاد يفارق الموبقات فلما تُوفِّي صلى عليه رسول الله وشيَّعَه ، وقد رُئي أثناء ذلك يمشي على رؤوس أصابعِه !.

التلميذ : خبر عجيب !

الشيخ : لذلك يقول مؤلف هذا الوِرد أن الصحابة سألوا رسول الله عن سبب ما يرونه منه ، فأخبرهم أنه يفعلُ ذلك

لازدحام الملائكة في جنازة الرجل !

التلميذ : الملائكة !!

الشيخ : هكذا تؤكد مقدمة الورد المُزَيَّف .. بقي أن تعرف بِمَ أصبح كبيرُ المذنبين من كبار المقرَّبين !..

التلميذ : نعم .. نعم ..!

الشيخ : تزعم المقدمةُ أنَّ رسول الله قد أرسل إلى امرأة ابن سلطان يسألها عن السر ، فإذا هي تكشف له أن زوجها لم يكن يتصل بالله إلا عن طريق هذا الوِرد .. الذي كان يقرؤه في أيام معلومات من كل عام !.

التلميذ : ثم ماذا ؟!.

الشيخ : ثم .. بهذا الإفتراء الوقح على رسول الله أحتل الوِرد المكذوب مقام القداسة في نفوس الجاهلين !.

التلميذ : ما أخطر البدعَة وأهلَها على الإسلام ؟.

الشيخ : ولِخطرهما على الإسلام يقول عليه السلام، فيما رواه ابن ماجةَ عن طريق حذيفة : « لا يقبل الله لِصاحب بدعةٍ صوماً ولا حجاً ، ولا عُمرةً ولا جهاداً ، ولا صرفاً ولا عدلاً . »

التلميذ: ذلك والله هو الخسْرانُ المبين .

الشيخ : فلنسأل الله أن يحفظنا من البدعة والمبتدعين .

التلميذ : اللهم قِنا شرّ البدع وأهلِها .

الشيخ : آمين .. واجعلنا من عبادك الذاكرين .. غير الغافلين .

التلميذ : آمين .. آمين .



جُنودُ إبليس

الشيخ : أَعِدْ يا بني ما قرأت .. إن فيه لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

التلميذ : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم . « واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تَفرقوا . واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداءً فألَّف بينَ قلوبكم ،فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حُفرةٍ من النارَ فأنْقذَكُمْ منها . كذلك يبين الله لكم آياته ، لعلكم تهتدون . ولْتكنْ منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروفِ ، وينهون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تَفَرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم . »

الشيخ : اللهم اجمعنا على هديك ، ولا تجعلْنا من المختلفين .

التلميذ : آمين ..

الشيخ : ألا يُدهِشُك أن يقرأ المسلمون هذه الآيات ثم لا ينتفعون بإرشاداتها !.

التلميذ : إن دهشتي من ذلك هي التي دفعتني للوقوف عندها دون غيرها من سورة آل عمران !.

الشيخ : لا غرابة .. فإن كل ما حولك من أحوال المسلمين يذكرك بهذه الآيات ، بل يشدُّك شدّاً إليها !.

التلميذ : إي والله !.

الشيخ : سأدع لك أولاً أن تُبرز النقاط الكبرى التي تلفتُ انتباهَك منها .

التلميذ : كلفتني كبيراً من الأمر ولكنه حبيب إلي .

الشيخ : هات إذن .

التلميذ : هنا أمر ونهي وتذكير .

الشيخ : إجمال محكم .. فأتبِعْه بالتفصيل .

التلميذ : أولاً ... ينصبُّ جانبُ الأمر على وجوب التجمع بين المسلمين ، وتكليف ذوي الإختصاص منهم بالتفرغ للدعوة إلى الله ، وتثبيت معاني الخير عن طريق الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر ..

الشيخ : هذا شأن الأمر .. فما شأن النهي ؟.

التلميذ : هناك نهيان ، أحدهما توكيد للأمر بالتجمع ، والثاني تحذير من مصير المختلفين ، الذين استحقوا أشدَّ العذاب.

الشيخ : حسناً .. بقيَ التذكير .

التلميذ: إن الله يذكرُ المؤمنين بما كانوا عليه قبل إشراقة الإسلام ، أيام كان العِداءُ أساسَ صِلاتهم الإجتماعية ، فأبدلهم بالتدابر أُخوّة . وبالشقاءِ سعادة .

الشيخ : نظرات مسدَّدة.. ولكنها لا تتجاوز الجانبَ التاريخيَّ من مضمون الآيات !.

التلميذ : وماذا يعني الشيخ بالجانب التاريخي ؟.

الشيخ : يذكر إبن كثير وغيره أن المخاطبين هنا هم الأوسُ والخزرج ، وذلك عندما أيقظ أحدُ اليهود عصبياتهم القديمة ، فثار بعضهم ببعضٍ حتى انتضوا السيوف .

التلميذ : نعوذ بالله !!

الشيخ : ولما انتهى النبأ إلى رسولِ اللهِ أسرع إليهم يذكرهم ويقول « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » .. فكان هذا كافياً ليستعيدوا عقولهم ، فيندموا ويتعانقوا ، ويلقوا بأسلحتهم ، ويُبطلُ الله بذلك كيد اليهود !.

التلميذ: إذن فالشيخ يعني بالجانب التاريخي سبب النزول ؟.

الشيخ : هو ذاك .. ثم يأتي من بعده الجانب التطبيقي الذي يشمل كل مسلم في كل مكان وزمان .

التلميذ: لا أدري كيف ذهلتُ عن هذه الحقيقة !

الشيخ : ومن أجل الحصول على أكبر قسط من إرشادات الآيات ،

علينا أن ندقق في مدى انطباقها على واقعنا ، لنرى إلى أي حد يمكن الإستعانة بها في إصلاح هذا الواقع .

التلميذ : ذلك ما أهفو إليه .

الشيخ . لقد أدركتَ ما في الآية الأولى من تسجيلٍ عميقٍ لواقع المجتمع العربي قبيل عهد النبوة .

التلميذ : نعم .. نعم .. حيث التمزقُ والشقاء .

الشيخ : ثم لواقع هذا المجتمع بعد أن أنقذه الله بنبي الرحمة (ﷺ) .

التلميذ : حيث التآلفُ والإخاء .

الشيخ : حسناً فهل فكرتَ في قوله تعالى عقيبَ هذا العرض « كذلك يُبين الله لكم آياته » ؟.

التلميذ : نعم ؟. الحق أنني لم أسأل نفسي بعد عن هذه الناحية .

الشيخ : أما أنا فقد سألت نفسي .. ولعلها أصابت حين أجابت « أن الله يوجه المسلمين إلى الوسيلة الوحيدة لإصلاح ذات بينهم ، كلما حاول شياطينُ الجنِ والإنس ضرب وحدتهم » .

التلميذ: وما هي –ليت شعري– تلك الوسيلة ؟.

الشيخ : إنها الاعتصام بحبل الله .. إنها المعجزة التي صنعت من خامات الجاهلية – كما حدثتك من قبلُ – خيرَ

أمةٍ أخرجت للناس .

التلميذ: إذن فالإعتصام بحبـل الله هو المراد بالآيات التي يبينها لنا الله .

الشيخ : أو أنه بعضُ هذه الآيات .

التلميذ: ولكن .. ما حبلُ الله .. وكيف نحدده ؟.

الشيخ : من حيث الدّلالةُ اللغويةُ هو طاعةُ الله وطاعة رسوله مطلقاً .. فكأن الحياة الدنيا خِضَم مائج ، والناس فيه غرقى ، ولا نجاة إلا للآخذ بهذا الحبل .

التلميذ: تفسير معقول ..

الشيخ : وقد وردت آثار مرفوعة تؤكد أن حبل الله هو القرآن العظيم فقد جاء عن علي (رض) قوله عن القرآن « هو حبل الله وصراطه المستقيم » وعن أبي سعيد (رض) « كتاب الله هو حبلُ الله الممدود من السماء إلى الأرض » .

التلميذ: فمن هنا إذن جاء ذلك التعليل الرباني : (لعلكم تهتدون) .. عقيب الأمر بالإعتصام ، والنهي عن الفرقة ، والتذكير بنعمة الله ، والإشارات إلى آياته المعجزات ..

الشيخ : أجل يا بني .. لقد علم الله ما سيصيب المسلمين من الإضطرابات التي تقصيهم عن الجادّة ، فهو يدلّهم هنا

على الطريق الأقوم ، الذي يضمن لهم الهداية ، ويقودهم إلى النجاة ..

التلميذ: حقاً .. حقاً .. ولكن .. واعجباه .

الشيخ : وممَّ العجبُ أيها الفتى ؟

التلميذ: مِن هؤلاء الذين تُحطّمُهم معاول الفرقة والإختلاف، فيجربون كل الوسائل الا الإعتصام بحبل الله ..

الشيخ : وليت هؤلاء قد اكتفوا بموقفهم هذا ، فكفوا ألسنتهم وأيديهم عن أولئك الذين يريدون الإستجابة لأمر الله .

التلميذ: لا أدري والله .. كيف يَرضى هؤلاء لأنفسِهم ولقومهم ظلمات الأهواء ، على هداية السماء ، فيلجئوا إلى دعوى الجاهلية ، والقرآن يُدَوّي من حولهم صباح مساء .

الشيخ : وأنا مثلك لا أدري .. وأغلب الظن أنهم يدركون خطر ما يأفكون .. ولكنهم وجدوا أنفسهم في أسفل المنحدر ، فلم يعودوا قادرين على التماسك والإرتفاع ..

التلميذ: أنا لا أدهش من سقوطهم ، ولكن الذي يُدهشني أنهم لا يستحيون أن يسموا السقوط ارتفاعاً ، والخسائر مكاسب ، والهزائم إنتصارات .

الشيخ : تلك طبيعة الدجالين يا بني .. ولو صدق باعة الخمر لما

أطلقوا عليها أعذب الأسماء ، بل لكتبوا على قواريرها
بالخطّ العريض « هذا هو السم الذي لا شفاء منه » !.

التلميذ: سدقت والله .. ولو صدق هؤلاء لأعلنوا بكل مـــا
يملكون من وسائل الإعلان « نحن أبواقُ الشياطين ..
نحن قادةُ الغاوين .. »

الشيخ : فاللهم نعوذ بك من الشياطين .. ومن الغاوين .

التلميذ: وجنودِ إبليس أجمعين .

* * *

سُبُلَ السَّلَام

التلميذ: (يقرأ في خشوع) « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..
يا أهلَ الكتاب قد جاءكم رسولُنا يُبينُ لكم كثيراً مما كنتم تُخفون من الكتابِ ويَعفو عن كثير . قد جاءكم من اللهِ نورٌ وكتابٌ مُبين ، يهدي به اللهُ مَن اتبعَ رضوانه سُبُلَ السلام ، ويُخرجُهم مِن الظلماتِ إلى النور بإذنِه ، ويهْديهم إلى صراطٍ مستقيم .. »

الشيخ : لولا أن مجلسَنا محدودُ الزمن لرغبتُ إليك أن تعيد ما قرأت عشراتِ المرات .

التلميذ: أُحسُّ في هاتين الآيتين سراً بعيد الغور ، لعله هو الذي دعاني إلى الإكثار من ترديدهما أثناء الطريق .

الشيخ : أجل يا بني .. إن فيهما لأسراراً ، لو فتح الناسُ لها قلوبهم ، وطبعوا بها حياتهم ، لكفتهم وشفتهم .

التلميذ : ولكن .. ألا ترى الخطابَ فيهما موجهاً إلى أهـــل الكتاب خاصةً !

الشيخ : لا ينبغي أن يفوتني هذا ، ولكن .. ألا ترى أيضاً أن الخطاب يبدأ بأهـل الكتابِ ، ثم ينتهي إلى تسليط الأضواء على المعجزة الكبرى ، التي هي مناط الهداية والسلام للجنس البشري عامة ؟.

التلميذ: نعم .. نعم .. وما أروع هـــذا الإنتقال من الخاصّ إلى العام !.

الشيخ : ولو أنت دققت النظر في هذا الجمع لرأيت بياناً مدهشاً لرسالة محمد (ﷺ) ، ولمهمة أمته من بعده ...

التلميذ: لابدّ لي أولاً من الإنتفاع بملاحظات الشيخ حول هذه المعـاني .

الشيخ : تبدأ الآية الأولى بنداء أهل الكتاب .. ولا بدّ للنداء من جواب يَعقبه ، فاقرأ الجواب .

التلميذ: (في أناة وتأمل) « قد جـاءكم رسولُنا يُبينُ لكم كثيراً مما كنتم تُخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . »

الشيخ : فالجواب كما ترى تأنيبٌ لهؤلاء الذين عبثوا بأمانـــة السماء ، فأخفوا من آيات الله ما أخفوا .

التلميذ: وحُقّ عليهم التأنيب .

الشيخ : ثمّ إخبار صارم بنقل الأمانة إلى أُمة هـــذا المبعوث

الجديد ، الذي سيتولىٰ تصحيحَ ما أفسده العابثون ، وتجديدَ الرسالة التي بُعث بها إخوانه النبيون .

التلميذ: صلواتُ الله عليهم أجمعين .

الشيخ : من هذا البيان الخاصّ بأهل الكتاب ، يتجـــه الخبر الإلهي إلى المهمة العالمية التي يريدها الله تبارك وتعالى من رسالة خاتم النبيّين (ﷺ) .

التلميذ : إنها نور وكتاب مبين ...

الشيخ : والنور هنا هو محمد (ﷺ) .. وقد سمي في آية المائدة هذه نوراً ، كما سمي في سورة الأحزاب سراجاً ، وذلك لما بينهما من صفات مشتركة .

التلميذ: وهذا ما يُرشد إليه السياق ..

الشيخ : والنور ، أيها التلميذ النجيب ، حلـُم القلوب الحائرة ، والأعين المنطفئة ، تهفو اليه لاستنقاذها من مخالب الظلام .

التلميذ: لا شك ..

الشيخ : ولكن .. لا بد مع النور من مؤشِّرٍ يحـدد الهدف ، ويُعَيِّنُ الطريق .

التلميذ: مزيداً من الإيضاح أيها الشيخ ..

الشيخ : هل عرفت الصحراءَ قط ؟.

التلميذ : من خلال ما سمعت عنها وقرأت.

الشيخ : فتصور الآن نفسك في صحراء .. وقد غمرها ضوء الصباح بأشعته المؤنسة إثر ليلٍ طام .. فهل يغنيك ذلك الضوء عن الحاجة إلى دليل ؟.

التلميذ: أبداً .. أبداً ..

الشيخ : وهل تستطيع في هذا الضوء تحديدَ المكان الذى تريد؟.

التلميذ: مستحيل .

الشيخ : وهكذا جاء لفظ النور في الآية إيذاناً بزوال الظلام ، ثم تلاه ذكر الدليل ، الذي لا مندوحة عن الإستعانة به للإنتفاع بذلك النور .

التلميذ : ذلك هو الكتاب المبين .

الشيخ : أجل .. ذلك هو مخطَّطُ السماء ، الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبلَ السلام ..

التلميذ: وهنا يجول في قلبي سؤال .

الشيخ : هاتِ سؤالك ..

التلميذ: لماذا حصر الله هداية كتابه في متبعي رضوانه .. مع أن منافعه شاملة لكل إنسان ، بل لكل مخلوق !

الشيخ : هذا صحيح .. ولكن الهداية شيء ، والإنتفاع شيء آخر . ثم لا تنسَ أن غاية الهداية في السياق إبلاغُ المهتدي سُبُلَ السلام .

التلميذ: لا جدال في هذا .

الشيخ . وإذا علمنا أن السلام إسم جامع لكل ضروب الرضى العقلي ، والطمأنينة القلبية ، والغبطة الروحية ،أدركنا أنها مستحيلة التحقق إلا للمؤمن العامل بما يرضي ربه . . .

التلميذ : هذا كلام مقنع .

الشيخ : أضف إلى ذلك ما علمته من أنّ كلّ تكليفٍ رباني ينطوي على تحصينٍ للمؤمن من أسباب الشقاء . . .

التلميذ: لا يشك عاقل في هذا .

الشيخ : ومن هنا كان للسلام سُبُل ، فكأن كل عمل يأتيه المؤمن في طاعة ربه سبيلٌ جديدة إلى الهدف الأعلى .

التلميذ : وكفى بهذا إخراجاً للمؤمنين العاملين من الظلمات إلى النور . .

الشيخ : وبيسير من التأمل ستُحِسُّ روعة التكرار لكلمة النور في هذه الآية . .

التلميذ: بلى . . أُحس أنها توكيد لروح السلام ، الذي يشير إليه العامل في ضوء الوحي .

الشيخ : وإذن فقد أطللتَ على معنى الهداية إلى الصراط المستقيم في نهاية الآية . . .

التلميذ: (في تأمل) « ويهديهم إلى صراط مستقيم . . »

الشيخ : ذلك لأن هؤلاء الذين استضاؤوا بكتاب الله وسنة رسوله ، قد شقّوا طريقهم في ثقة بحكمة الله ، فهم

مطمئنون إلى يومهم وغـــدهم قدرَ اطمئنانِهم إلى موعوده .

التلميذ: (في خشوع) « أفـَمَنْ يَمشي ُمكِبــاً على وجهِـه أهدى ... أم مَن يمشي َسوياً على صراط مستقيم !! »

الشيخ : والآن .. وبعد هذا التجوال اليسير في ظلال الآيتين الكريمتين ، يجدر بك أن ُتناقش فـَهْمَ الناسِ لموضوعِ السلام ، على ضوء ما فهمته من مدلولاتهِـما الربانية .

التلميذ: وأي سلام هذا الذي َيلوكـُه أولئك المساكين !.. إنهم يتحدثون عن السّلام وكأنه صفقة تجـــارية لا تتجاوز حدود المساومة والتنافس !.

الشيخ : لقد والله أدركتَ في برهةٍ قصيرةٍ مـــا عجز عنه فلاسفتـُهم في السنينَ المتطاولة ، ولو ُهـدوا إلى بعض ما إستشرفته من كلام الله ، لآمنـــوا أن السلام الذي لا يَنبَعُ من الضمير المتجاوب مع وحي الله لن يكون إلا لغواً ..

التلميذ: بل خداعاً وتضليلاً .

الشيخ : ولا عجب في ذلك يا بني .. أن السلام من أسماء ربنـا الحسنى ، وهو تحيةُ المؤمنين في الدنيـــا والآخرة ، يرددونها فيما بينهم ، وفي صلواتِهم عشرات المرات من كل يوم ..

التلميذ: أللهم أنت السلام ومنك السلام ..

الشيخ : ولتحقق السلام في الكيان الإنساني لا بدّ من الإحاطةِ الشاملة بجميع قوانين الحياة ، ثم الإنسجام التام مع هذه القوانين .

التلميذ: وأنّى للإنسان أن يبلغ ذلك المدى من الكمال ، وهو الذي لا يكاد يرى ما يتجاوز حِسَّهُ من هذه الدنيا !..

الشيخ : يُسعدني أنك لن تنسى هذه الأسس التي سبق تقريرها في مجالسنا السابقة .

التلميذ: الحقائق الأساسية تستعصي على النسيان .

الشيخ : ويسرني أن أزيدها توكيداً في ذهنك بهذا البرهان الإلهي الجديد ..

التلميذ: زادك الله فضلاً أيها الشيخ الفاضل .

الشيخ : ألم تقرأ قوله تعالى مخاطباً صفوة خلقه محمداً (ﷺ) « قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي ، وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي .. » ؟

التلميذ: لقد قرأته كثيراً ، وحفظته قديماً ..

الشيخ : فإلى أي شيء يشير ؟.

التلميذ : يلوح لي أن ربنا تبارك وتعالى يَحكمُ بأنْ لا سبيلَ إلى الهدى إلا عن طريق وحيه.. وكل محاولةٍ لتحقيقها عن غير هذا الطريق مفضية بصاحبها إلى الضلال البعيد.